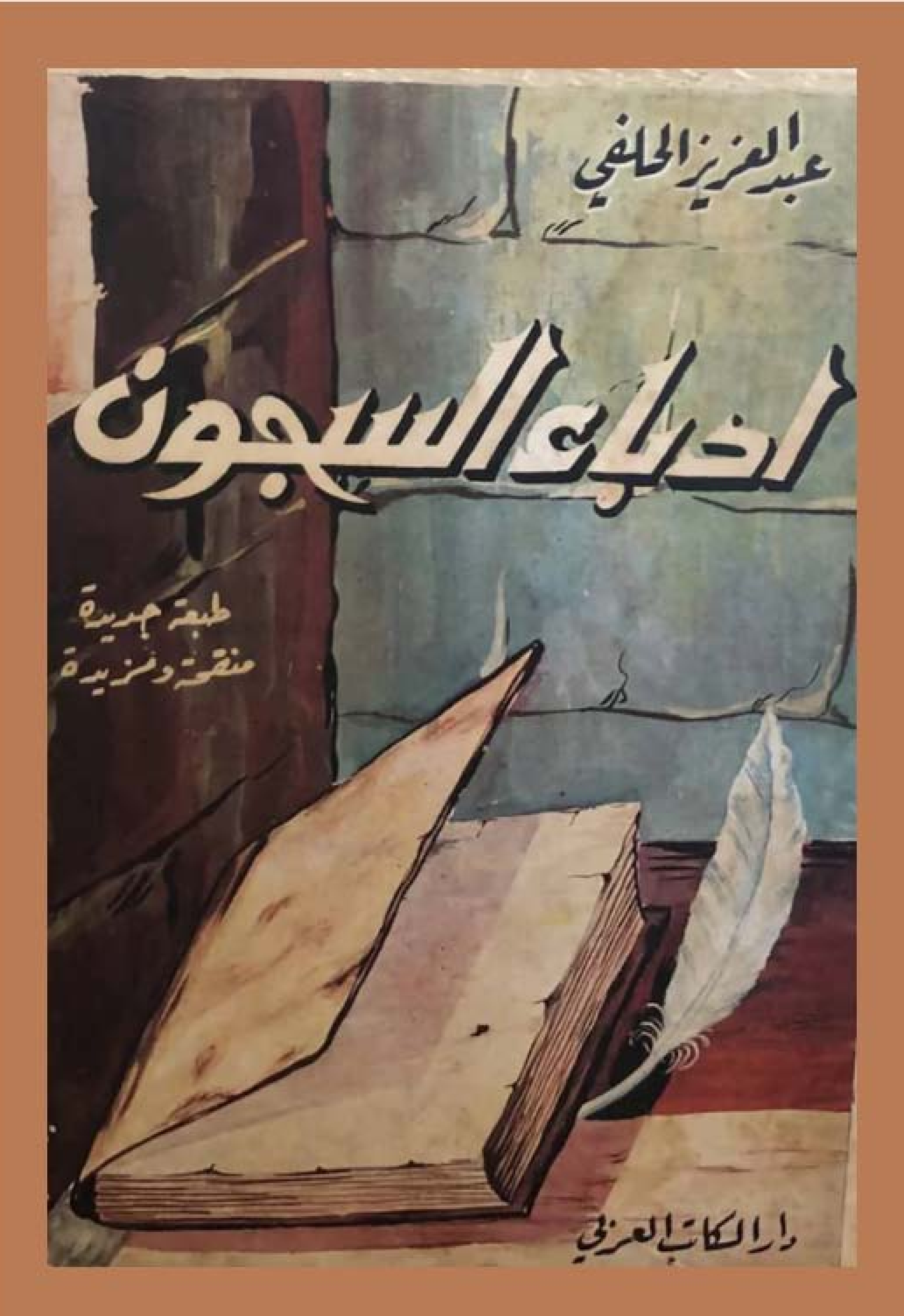

عبد العزيز الحلفي
أدباء السجون
طبعة جديدة
منقحة ومزيدة
دار الكاتب العربي

عبد العزيز الحلفي

أدباء السجون

دار الكاتب العربي

ادباء السجون

اهداء الكتاب

إلى باعث الأناشيد القومية في رومياته .

إلى سجين الروم، وعنوان الوفاء في تضحياته

إلى خلاصة الفاتحين وعبقري بني حمدان

الأمير أبي فراس الحمداني

أقدم هذا الكتاب .

المؤلف

تعريف بالكتاب

تقرأ في تضاعيف هذا الكتاب تراجم طائفة كبيرة من الشعراء والكتاب والادباء: من جاهليين ومخضرمين واسلاميين ومولدين، وتمر بأروع ما قالوا من شعر وما كتبوا من رسائل عن نكباتهم وهم بين جدران السجون .

ولما لم يكتب مؤرخو الآداب العربية عن الأدباء المساجين، ولم يجعلوا لادبهم بابا خاصاً في كتبهم يجمع شتاتهم، ويقف بالباحث المتتبع على صورٍ من أدبهم وأفكارهم، اللهّم الا شذرات متفرقة هنا وهناك في بطون الكتب واثناء الموسوعات، لم يكن العثور عليها الا من قبيل الصدف، رأيت فرضاً عليّ جمع ما تيسر لي من أدب المساجين، وعرضه ضمن تراجمهم واخبارهم، لتعم الفائدة وليكون في متناول الجميع، وبذلك نكون قد وفرنا لطلاب هذا الفن وقتاً وقدّمنا لهم خدمات .

تقرأ هذا الكتاب فتقرأ فيه الأدب الصادق، والتصوير الرائع، والوصف الدقيق لحياة السجون في مختلف العصور، وتمر باقوى الالوان الشعرية واروع التأملات والافكار للجماهير المضطهدة، من الشعراء والادباء والكتاب، وقد عنيت جهد الطاقة في تدقيق

مواضيع هذا الجزء وتمحيصها من الشوائب ، وقد جاء الكتاب مرتباً حسب العصور مُراعي فيه الذوق وحسن التبويب ، ومن الله تعالى استمد العون وهو من وراء القصد .

المؤلف

نشأة السجون وتطورها في التاريخ

انتزعت فكرة إنشاء السجون من صميم الحياة الاجتماعية وملابساتها ، ونشأت مع الاجيال ظاهرة خاضعة لطبيعة الاجتماع ، وفلسفة الحياة ، غير أنها لم تتكيف بهذا الحال السائد اليوم في السجون إلا بعد فترات طويلة من التاريخ اكتسبت فيها من العوامل الزمنية ، ونالت من طبائع الاقاليم ، ومقتبسات الانظمة والقوانين أوفى العنايات .

ويتميز العصر الحاضر بهذه الظاهرة، وعلى الأخص في الغرب، فقد عني أولو الشأن هناك بالسجون عناية كبرى ، فجعلوا منها نواة لتهذيب الطباع ، وتركيز محاسن الأخلاق في أكثر النفوس الشريرة ، وطبعها على المبادىء القويمة ، والعواطف الانسانية ، كما انتفعوا بنشاط هذه الطبقة في أكثر الاعمال والصناعات، ولعل أول من سبق إلى تشغيل السجناء وتصنيعهم هم العرب في العصر العباسي الذهبي . أليس عبدالله بن المعتز هو القائل في سجنه :

تعلمت في السجن نسج التكك   وكنت امرأ قبل حبسي ملك

وفي التاريخ ما يدلنا على اهتمام العرب الكبير بالسجون في مختلف عصورهم ،وصور تلك السجون ،وأثرها في حياة العرب وأدبهم ،كما في

سجون المناذرة والغسانيين في العصر الجاهلي ، وكما في العصر الاسلامي في السجون التي أقامها الخلفاء ، إلا أنه في بدء هذا العصر اتخذ المسلمون من سجونهم كحالات موقتة ، كلما أمكنهم ، حتى كان يُحبس في المسجد والدهليز ، فلما كان زمان عليّ عليه السلام ، أحدث السجن فكان أول من أحدثه في الاسلام . وقد جعله أولاً من قصب وسماه (نافعاً) ، فنقبه بعض اللصوص ، فبنى آخر وسماه (مخيساً) وفيه يقول عليه السلام :

أما تراني كيساً مكيسا بنيت بعد نافع مخيسا
باباً حصيناً واميناً كيسا

والسجون وان احتضنتها القوانين ، واصطلح عليها العرف العام ، إلا انه قديماً برمت بها النفوس ، واجتوتها الطباع لكثير من الاعتبارات والوجوه . فقد قيل ان يوسف (ع) كتب على باب السجن : «هذه منازل البلوى ، وقبور الاحياء ، وشماتة الاعداء ، وتجربة الاصدقاء» ولما أدخل ابراهيم التميمي سجن الحجاج بواسط وقف على مكان مشرف ونادى بأعلى صوته : « يا أهل بلاء الله في عافيته ، ويا أهل عافية الله في بلائه ، اصبروا » فنادوه : «لبيك لبيك» . ويقول الطالبي في سجنه :

الا أحد يدعو لأهل محلة مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا
كأنهم لم يعرفوا غير دارهم ولم يعرفوا غير الشدائد والبلوى

وبهذه الالمامة القصيرة في نشأة السجون وتطورها ، ما يكفي القارىء ويكشف له عن طرف من هذا التاريخ .

أثر السجون في الادب العربي

كما كانت السجون واغلة في تاريخ العرب ، منبثقة من حياتهم السياسية والاجتماعية ، كذلك كان أثرها بعيداً متأصلاً في لغتهم وصور أدبهم ، فمنذ الجاهلية وعصور المناذرة وايام الغسانيين ، برم الشعراء بالسجون ، وجاء على ألسن المساجين منهم كثير من الشعر الرائع في وصف السجون ، وتصوير أوضاعها ، ومكارهها ، ولعل للتأثر البالغ الذي يصدر عنه الشعراء والادباء ، وهم بين جدران سجونهم نتيجة للاحوال المرهقة ، الاثر الكبير في ايقاظ ملكاتهم ، وشحذ قرائحهم ، الحال الذي جعل من السجون عاملاً قوياً في تركيز الادب ، واعلاء مقاييسه ، فاتسم أدب المساجين بطابع القوة ، وتميز بمظاهر الحياة ، وارتفعت فيه المقاييس فكان في الذروة فيما تناول من سوانح وتأملات وصور . وحسبنا أن نقرأ من العصر الجاهلي قول عدي بن زيد العبادي يصف حاله وهو في حبس النعمان :

ولقد ساءني زيارة ذي قر بى حبيب لوّدنا مشتاقِ
ساءه ما بنا تبين في الأيدي واشناقها إلى الأعناق
فاذهبي يا أميم غير بعيد لا يؤاتي العناقَ من في الوثاق

واذهبي يا أميم ان يشأ الله ينفس من أزم هذا الخناق
او تكن وجهة فتلك سبيل الناس لا تمنع الحتوف الرواقي

وقد الم السمهري ، وهو من الاسلاميين ، وصف حاله من السجن فجاء بهذه الصورة الرائعة :

تَعَلَّلْ بليلى إنما انت هامة من الغد يدنو كل يوم حمامُها
وكيف ترجيها وقد حيل دونها وأقسم اقوام بخوف قسامها
لقد طرقت ليلى وساقي رهينة فما راعني في السجن الا لمامها
فلما انتهت للخيال الذي سرى اذ الارض قفر قد علاها قتامها

وقد تناول اكثر الشعراء المساجين وصف السجن ، وكثر في ذلك افتنانهم فاتوا منه بالقدر الرائع ، فمن ذلك قول ابراهيم ابن المدبر :

هو الحبس ما فيه عليّ غضاضة وهل كان في حبس الخليقة من عارِ
ألست ترين الخمر يظهر حسنُها وبهجتها في الحبس في الطين والقار
وما أنا إلا كالجواد يصونُه مقوّمه للسبق في طي مضمار
أو الدرةِ الزهراء في قعر لجةٍ فلا تجتلى الا بهول واخطار
وهل هو الا منزل مثل منزلي وبيت ودار مثل بيتي او داري

وقد أحسن علي بن الجهم في هذا الباب فقال :

قالوا حبست فقلت ليس بضائري حبسي وايّ مهندٍ لا يُغمدُ
او ما رأيت الليث يألف غيلَه كبراً ، واوباشُ السباع تردد
والشمس لولا انها محجوبة عن ناظريك لما اضاء الفرقد
والبدر يدركه السرار فتنجلي ايامُه وكأنه متجدد
والحبس ان لم تغشَه لدنيئة في الدهر نعم المنزل المتودد

بيت يجدّد للكريم كرامةً ويزار فيه ولا يزور ويحمد

ولو اردنا التعرض لبعض الألوان الاخرى من أدب السجون ، وصورنا مدى أثر السجن فيها ، لطال بنا المقام ، ولكننا نكتفي بهذه اللمحة ، وفي الكتاب ما يغني القارىء في اكثر من ذلك ، ويضاعف له من هذا الامتاع .

مدخل العصر الجاهلي

لا يمكن تناول العصر الجاهلي ضمنَ مجموع هذا الكتاب كعصر مكشوف الطرق يتمكن فيه الكاتب من اقتباس مواضيعه المناسبة ، وعرضها عرضاً يعطي صورة واضحة عامة لحياة العرب في هذا الباب ، فالقوم في عصرهم ذاك كانوا يحيون حياة قبائل متفرقة ، لا تتقيد بنظم ولا ترضخ لقوانين ، اللهم إلا ما كان داخلاً ضمن الحيرة واعمالها من الولايات ، وبعض جهات الشام وفلسطين ايام الغسانيين . ونحن إن نكتب فانما نكتب في هذا النطاق حيث الحكومة ونظمها وسجونها ، ولا نكاد نتعدى هذا النطاق الا في مواضيع تنسجم وهذا الشأن ، كتسجيل بعض حوادث الأسر المثيرة الطافحة بالشعر التي تقع عند العرب في حروبهم ومغازيهم ، تلك الحوادث التي ربما تكون أشد تأثيراً في النفس ، واقوى اثراً من السجن في صقل الذهن ، وايقاظ الفكر ، وهذا عمل طريف لا يؤثر في صميم الكتاب .

طرفة بن العبد

في سجن البحرين

هو عمرو بن سفيان بن سعد البكري ، مات أبوه وهو طفل ، فكفله قومه فنشأ مهملًا سيء التربية ، محباً للدعة ، ميالاً للخمر ، وقد دعاه نزق الشباب والاعجاب بالنفس أن يهجو عمرو بن هند ملك الحيرة ، فاحتقدها عليه حتى إذا وفد عليه مع خاله المتلمس هش للقائهما ، وأمر لكل منهما بصلة ، وأحالهما بكتابين على عامله بالبحرين ليستوفياها منه ، وفي أثناء الطريق داخل المتلمس من الصحيفة همٌّ ، واستشعر الخوف ، فالتمس من يقرأها له ، فإذا فيها : « باسمك اللهم ، من عمرو بن هند إلى المعكبر : إذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه ، ثم ادفنه حياً » فألقى الصحيفة في نهر هناك وقال لطرفة : « معك والله مثلها » فقال : « ما كان ليكتب لي مثل ذلك » وأخذ وجهه حتى إذا أتى العامل ، وقرأ الصحيفة قبض عليه وسجنه على أشهر الروايات ، وكتب إلى عمرو بن هند : « ما كنت لأقتلَ طرفة ، فإذا أردت قتله فابعث إليه من يقتله » فبعث إليه من قتله ، وخيّر في قتله فاختار أن يسقى الخمر ، ويفصد أكحلاه ، ففعل به ذلك . هذه أشهر

الروايات في قتله ، ومن شعره في السجن قوله يخاطب عمرو بن هند :

ألا اعتزليني اليوم ياخول أو غضي ... فقد نزلت حدباءُ محكمةُ العض
أبا منذرٍ كانت غروراً صحيفتي ... ولم أعطكم بالطوع مالي ولا عرضي
أبا منذر أفنيتَ فاستبقِ بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهونُ من بعض
فاقسمتُ عند النصب إني لهالكٌ ... بملتفةٍ ليست بغبط ولا خفض
خذوا حذَركم آلَ المشقر والصفا
وعبدا سبيدٍ والقرض يجزى من القرض
ستصبحك الغلباءُ تغلب غارةً ... هنالك لا ينجيك عرضٌ من العرض
وتلبس قوماً بالمشقر والصفا ... شآبيبَ موتٍ تستهل ولا تغضي
تميل على العبدي في جوّ داره ... وعوف بن سعد تخترمه عن المحض
هما أوردا ني الموت عمداً وجرّدا ... من الغدر خيلاً ما تملّ من الركض

وقوله يلوم أصحابه على خذلانهم إياه :

أسلمني قومي ولم يغضبوا ... لسوءةٍ حلت بهم فادحهْ
وكم خليلٍ لك خاللته ... لا جعل الله له واضحة
وكلهم أروغُ من ثعلب ... ما أشبه الليلة بالبارحة

عنترة العبسي

بين سجنين

عنترة بن شداد العبسي ، كنيته أبو المفلس ، ويلقب بعنترة الفلحاء ، وذلك لتشقق شفتيه . وكانت أمه حبشية ، وقيل أمه سوداء سباها أبوه في بعض مغازيه ، فاستولدها عنترةَ وسرى اليه السواد من جهة أمه ، وأقام عنترة زماناً يرعى الابل مع العبيد ، وهو يأنف من ذلك حتى أغار بعض الأحياء من طي على بني عبس ، فأصابوا منهم وقتلوا أنفاراً ، وسبوا نساء ، وكان عنترة معتزلا فتقاعد عن المدافعة، حتى مرّ به أبوه فقال: ويلك يا عنتر كرّ . فقال: العبدُ لا يحسن الكرّ ، وإنما يحسن الحلب والصر . فقال : كرّ وانت حر . فثار في أوجه القوم وهزمهم ، وأرجع السبايا ورد الغنائم . ومنذ ذلك اليوم ظهرت شجاعته ، وعُرفت فروسيته ، وكان يهوى ابنة عمه عبلة ابنة مالك ، وكثيراً ما كان يذكرها في شعره ، وكان ابوه يمنعه من زواجها . فهام بها أيما هيام ، واشتد بهـا كلفه ، ولقي في سبيل ذلك كثيراً من الخطوب ، وذاق من أجلها مرارة السجن والاسار . ثم تزوجها

بعد امتناع طويل . وعاش من العمر تسعين سنة . والمصادر تشير إلى أنه اسر مرة وسجن أخرى ، وفي ديوانه المطبوع بمصر ما هذا نصه : « وكان قد أخذ اسيراً في حرب كانت بين العرب والعجم ، وكانت عبلةُ من جملة السبايا ، فتذكر أيامه معها وهو في السلاسل والقيود ، فعظم عليه الأمر وخنقته العبرة فقال :

فخر الرجال سلاسل وقيودُ وكذا النساء بخانق وعقودُ
واذا غبار الخيل مدّ رواقه سكرى به لا ما جنى العنقود
يا دهر لا تبقِ عليّ فقد دنا ما كنت اطلب منك ذا واريد
فالقتلُ لي من بعد عبلة راحةٌ والعيش بعد فراقها منكود
يا عبلُ قد دنت المنايا فاندبي ان كان جفنُك بالدموع يجود
يا عبل ان تبكي عليّ فقد بكى صرفُ الزمان عليّ ، وهو حسود
يا عبل ان سفكوا دمي ففعائلي في كل يوم ذكرُهن جديد
لهفي عليك اذا بقيت سبيةً تدعين عنترَ وهو عنك بعيد
ولقد لقيت الفرسَ يا ابنة مالكٍ وجيوشُها قد ضاق عنها البيد
وتموج موجَ البحر الا انها لاقت اسوداً فوقهن حديد
جاروا فحكّمنا الصوارمَ بيننا فقضت واطرافُ الرماح شهود
يا عبل كم من جحفل مزقتُه والجوّ اسود والجبال تميد
فسطا عليّ الدهر سطوةَ غادر والدهر يبخل تارة ويجود

ذلك عنترة يتمثل في هذه القصيدة جارياً على اسلوبه الصارم، وسمته المعروف ، قوي الشكيمة صعب المراس ، لم يتغير أمام

الخطوب ولم يتضاءل أمام الأحداث ، و كأنما هو مطبوع على هذا الخلق والغرار ، إلا أنه يتفجر عن عاطفة مشبوبة وصبابة طاغية ، وهو يشاهد عبلة على قيد خطوات منه ، فلا يقدر على دفع شيء ، غير أن يقوم بهذه المطارحة الحزينة التي طالما تناقلتها الصحراء ، ثم لم يطل به الأسر دون أن يرجع إلى حيه موفور الكرامة ، مرعي الجانب ، وفي المرة الاخيرة وقع أسيراً في أرض المناذرة بعدما خاض غمار حرب عوان طلباً للنوق العصافيرية التي قطعها عليه عمه كما يظهر ذلك من القصيدة التي قالها وهو في سجن المنذر :

تری علمت عبيلةُ ما ألاقي ... من الأهوال في أرض العراق
طغاني بالربا والمكر عمّي ... وجار عليّ في طلب الصداق
فخضتُ بمهجتي بحرَ المنايا ... وسرت إلى العراق بلا رفاق
وسقت النوق والرعيانَ وحدي ... وعدت أحرّ من نار اشتياقي
وما أبعدت حتى ثار خلفي ... غبارُ سنابك الخيل العتاق
وطبّقَ كلّ ناحيةٍ غبارٌ ... وأشعل بالمهندة الرقاق
وضجّت تحتَه الفرسانُ حتى ... حسبت الوعدَ محلولَ النطاق
فعدت ، وقد علمت بأن عمي ... طغاني بالمحال وبالنفاق
وبادرت الفوارس وهي تجري ... بطعنٍ في النحور وفي التراقي
وما قصّرتُ حتى كلّ مهري ... وقصّر في السباق وفي اللحاق
وقادوني إلى ملك كريم ... رفيعٍ قدرُه في العز باقي

وقد لقيت بين يديه ليثاً كريه الملتقى مرّ المذاق [1]
بوجه مثل دور الترس فيه لهيبُ النار يُشعل في المآقي
قطعت وريدَه بالسيف جزراً وعدت إليه أحجل في وثاقي
عساه يجود لي بمراد عمي وينعم بالجمال وبالنياق

---

١ — يؤخذ من قوله وقد لقيت بين يديه ليثاً . الى قوله قطعت وريده ، ان المنذر كان عنده أسد وانه أمر ان يعطى الى عنترة سيف ، وامره ان يبارز الاسد وهو في قيوده فان غلبه اطلقوه واكرموه . ويعرفنا التاريخ ان الامم القديمة كانت تأتي بأسراها وتأمرهم بمبارزة الاسود ، فمن غلب ذهب ضحية ، ومن غلب اطلق وحرر ، وقد انتشرت هذه العادة ايام الرومانيين وغيرهم بقارة اوروبا ومن بقاياها الان مبارزة الثيران ببلاد اسبانيا .

عدي بن زيد العبادي

في سجن الصنين [1]

عدي بن زيد العبادي من بني تميم ، موطنه الحيرة ، نصراني جاهلي ، كان جميل الوجه فائقاً في الجمال ، طرحه أبوه في الكتاب حتى إذا حذق أرسله إلى كتاب الفارسية فتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بهما ، وأفصحهم بالعربية ، وقال الشعر وتعلم الرمي بالنشاب ، ثم اتصل بالنعمان بن المنذر ملك الحيرة ونادمه طويلاً ، ثم وشى به بعض أعدائه عند النعمان فقبض عليه وحبسه في سجن الصنين ، ومـــا زال يشدد عليه في السجن وعدي يتوسل اليه بأرق الشعر إلى أن هلك في محبسه بعد أن سجّل له تاريخ الأدب في هذا السجن قصائد ملأى بالعواطف الانسانية والبكاء المر ، ومن أوجع هذه القصائد قوله :

ليس شيءٌ على المنون بباقِ　　غير وجه المسبّحِ الخلاّقِ
ولقد ساءني زيارةُ ذي قر　　بى حبيب لو دنا مشتـاق
ساءه ما بنا تبين في الأيدي　　واشتناقهـا إلى الأعنـــاق

---

١ ــ الصنين : بلد بظاهر الكوفة من منازل النعمان بن المنذر ، وبه نهر ومزارع ولا تزال لاثاره بقية حتى الان .

فاذهبي يا اميمُ غير بعيدٍ لا يؤاتي العناقَ من في الوثاق

واذهبي يا اميمُ أن يشأ الله ينفّسْ من أزمّ هذا الخناق

او تكن وجهةٌ فتلك سبيلُ النـ ـاسِ لا تمنع الحتوف الرواقي

وتقول العداةُ اودى عدي وبنوه قد أيقنوا بغلاق

يا ابا مسهر فابلغ رسولاً اخوتي ان اتيتَ صحنَ العراق

ابلغا عامراً وأبلغْ اخاه أنني موثقٌ شديدٌ وثاقي

في حديــد القطاس يرقبني الحارسُ والمرء كل شيء يلاقي

في حديد مضاعفٍ وغلولٍ وثيابٍ منضحات خلاق

فاركبوا في الحرام فكوا اخاكم ان عيراً قد جهزت لانطلاقي

ولو قرأنا قصيدته الآتية لوقفنا على جملة امره وعلى مدى أثر السجن في نفسه ، فلنستمع اليه وهو يخاطب النعمان ، ويتوسل اليه ويشرح له الاوضاع الراهنة بعد سجنه الطويل :

ارقت لمكفهرٍ بات فيه بوارق يرتقين رؤوس شيب

تلوح المشرفيةُ في ذراه ويجلو صفح دخدار قشيب

سعى الأعداء لا يألون شراً عليّ وربّ مكة والصليب

ارادوا كي تمهل عن عدي ليسجن أو يدهده في القليب

وكنت لزاز خصمك لم اعرد وقد سلكوك في يوم عصيب

أعالنهم وأبطن كلّ شرٍ كما بين اللحاء الى العسيب

ففزت عليهمُ لما التقينا بتاجك فوزة القدح الاريب

وما دهري بأن كدّرت فضلاً ولكن ما لقيت من العجيب

الا من مبلغ النعمان عني وقد تهدى النصيحة بالمغيب

أحظي كان سلسلة وقيداً وغلّا والبيان لدى الطبيب

أتاك بأنني قد طال حبسي ولم تسأم بمسجون حريب
وبيتي مقفرٌ إلا نساءً ارامل قد هلكن من النحيب
يبادرن الدموع على عدي كشنٍّ خانه خرز الربيب
فان أخطأت أو أهملت أمراً فقد يهم المصافي بالحبيب
وان أظلِم فقد عاقبتموني وان أظلَم فذلك من نصيبي
وان أهلك تجد فقدي وتخذل إذا التقت العوالي في الحروب
فهل لك أن تدارك ما لدينا ولا تغلب على الرأي المصيب
فإني قد وكلت اليوم أمري إلى رب قريب مستجيب

قيس بن مسعود الشيباني

في سجن ساباط [1]

هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين عبد الله بن عمرو ، وفد إلى كسرى لما قتل النعمان بن المنذر ، وجعلت بكر بن وائل تغير في السواد ، فسأله أن يجعل له أكلاً وطعمة على أن يضمن على بكر بن وائل أن لا يدخلوا السواد ، وألا يغيروا فيه فأطعمه « الأبلة [2] » وما والاها وقال : هي تكفيك وتكفي أعراب قومك . فكان يأتيه من أتاه فيعطيه جلة تمر وكرياسة » حتى قدم الحرث بن وعلة والمكسر بن حنظلة فأعطاهما جلتي تمر وكرياستين ، فغضبا وأبيا أن يقبلا ذلك منه فخرجا . واستغويا ناساً من بكر بن وائل ثم أغارا على السواد، فلما بلغ ذلك كسرى غضب واشتد حنقه ، ثم أرسل إلى قيس بن مسعود وهو بالأبلة

---

١ – ساباط: موضع بالمدائن سمي باسم ساباط بن باطام الذي كان يسكنه، وفيه قيل افرغ من حجام ساباط ، اذ كان فيه حجام يحجم الناس بنسيئة ، فان لم يجئه احد حجم أمه حتى قتلها ، فضرب العرب به مثلاً .

٢ – الابلة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة في زاوية الخليج ، وهي قديمة كانت فيها مسالح لكسرى ، قال الاصمعي : جنات الدنيا ثلاث : غوطة دمشق ، ونهر بلخ ، ونهر الابلة .

فجيء به اليه ، فلما أدخل به عليه قال غررتني من قومك وزعمت أنك تكفيهم وأمر به فحبس « بساباط » ، وأخذ كسرى في تعبئة الجيوش إلى بكر بن وائل ، فقال قيس ينذر قومه غزو كسرى :

ألا ليتني أرشو سلاحي وبغلتي لمن يخبر الابناء بكر بن وائل
فأوصيهمُ لله والصلح بينهم لينطأ معروف ويزجر جاهل
وصاة امرىء لو كان فيكم أعانكم
على الدهر ، والأيام فيها الغوائل
فاياكم والطف لا تقربنه ولا البحر إن الماء للبحر واصل
ولا أحسبنكم عن بغا الخير أنني سقطت على ضرغامة وهو آكل
وان جنود العجم بيني وبينكم فيا فلجي يا قوم إن لم تقاتلوا

وقال من السجن أيضاً :

ألا أبلغ بني ذهل رسولاً فمن هذا يكون لكم مكاني
أيأكلها ابن وعلة في ظليف ويأمن هيثم وابنا سنان
ويأمن فيكم الذهلي بعدي وقد وسموكمُ سمة البيان
ألا من مبلغ قومي ومن ذا يبلغ عن أسير في الأوان
تطاول ليله وأصاب حزناً ولا يرجو الفكاك مع المنان

وأقام قيس في السجن زمناً طويلاً بعد أن جرت خطوب كبيرة ، ثم عفا عنه كسرى وأطلقه من السجن .

جويرة بن بدر الدارمي

في ديار بني عجل

هو جويرة بن بدر بن عبدالله بن دارم ، من رؤساء بني تميم وأشرافهم، وأحد الشعراء الفرسان أسر يوم « الوقيظ [1] » وهو يوم من أيام العرب في الجاهلية. وكان قد أسرته بنو عجل في جملة من رؤساء قومه ، فلم يزل عندهم في الوثاق حتى رآهم يوماً يشربون ، فأنشأ يتغنى يسمعهم ما يقول :

وقائلةٍ ما باله لا يزورنا ... وقد كنت عن تلك الزيارة في شغل

وقد ادركتني والحوادث جمة ... أسنة قوم لا ضعافٍ ولا عزل

لعلهم ان يمطروني بنعمة ... كما صاب ماء المزن في البلد المحل

فقد ينعش الله الفتى بعد عثرةٍ ... وتصطنع الحسنى سراة بني عجل

فلما سمعوا هذا الشعر رقوا له فأطلقوه من وثاقه .

---

١ – الوقيظ : من منازل بني تميم وبه سمي اليوم الذي تقاتل فيه بنو تميم مع اللهازم وبني عجل وعنزة بن اسد ، وهو يوم مذكور في كتب أيام العرب وكان يوماً على بني تميم .

ابو الطمحان القيني

في مضارب طيء

أبو الطمحان اسمه حنظلة بن الشرقي أحـد بني القين بن جسر ابن شيع الله من قضاعة ، كان شاعراً فارساً صعلوكاً ، وهو من المخضرمين أدرك الجاهلية والاسلام ، فكان خبيث الدين فيهما ، وكان تربا للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية ، ونديماً له . وكان مجاوراً في جديلة من طي . فلما اقتتلت بينهما واشتدت الحرب التي يقال لها (حرب الفساد) تحزبت حزبين : حزب جديلة ، وحزب الغوث ، وقد دامت هذه الحرب أربعة أيام منها ثلاثة للغوث ويوم لجديلة ، وأسر أبو الطمحان في هذه الحرب ، أسره رجلان من طي ، واشتركا فيه فلما طال اساره ورم بوثاقه قال :

ارقت وآبتني الهموم الطوارق ولم يلق ما لاقيت مثلي عاشق
إليكم بني لام تخب هجانها بكل طريف صادفته تبازق
لكم نائل غمرٌ وأحلامُ سادةٍ وألسنةٌ يوم الخطاب مساقِ
ولم يدع داع قبلكم لعظيمة إذا رزمت بالساعدين السوارق

فلما بلغ هذا الشعر بجير بن اوس بن حارثة اشتراه من آسريه وجز ناصيته وأعتقه .

الشنفرى الازدي
في الوثاق

اسمه ثابت بن اوس وقبيلته الأزد، وموطنه اليمن ، ولقبه الشنفرى ، جاهلي يضرب به المثل في الحذق والدهاء ، وكان من عدائي العرب الذين لا تدركهم الخيل وهم : سليك بن سلكة ، وعمر بن براق ، واسير بن جابر ، وتأبط شراً . وكان الشنفرى حلفَ ليقتلنّ من بني سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين ، فاحتالوا عليه حتى إذا نزل في مضيق ليشرب الماء أمسكه لهم اسير ابن جابر ، فجيء به موثقا وطرح بينهم ، فقالوا له انشدنا فقال الانشاد على حال المسرة ، ثم ضربوه على يده فقطعت ، وكانت بها شامة سوداء فقال ينعاها :

لا تبعدي اما ذهبت شامه قرب واد نفرت حمامه
ورب قرن فصلت عظامه

وقالوا له لما ارادوا قتله: اين نقبرك؟ فقال :

فلا تدفنوني ان دفني محرم عليكم ولكن خامري أم عامر
اذا حملوا رأسي وفي الرأس اكثري
وغودر عند الملتقى ثمّ سائري
هنالك لا ارجو حياة تسرني سجيس الليالي مبسلًا في الجرائر

وقيل إنه مرّ رجل منهم بجمجمته بعد قتله ، فضربها برجله فدخلت شظية من الجمجمة برجله فمات ، فتمت القتلى مائة .

عبد يغوث الحارثي

يوم الكلاب الثاني [1]

هو عبد يغوث بن صلاءة بن معقل بن كعب بن الارث الحارثي جاهلي موطنه اليمن . كان فارساً من سادات قومه ، وقائدهم يوم الكلاب الثاني ، واسر في ذلك اليوم فقتل ، وله في هذا الأسر قصيدة عصماء زاخرة بآداب الفتوة يقول فيها :

ألا لا تلوماني كفى اللومَ مابيا	فما لكما في اللومّ خيرٌ ولا ليا
ألم تعلما ان الملامة نفعُها	قليلٌ وما لومي أخي من شماليا
فيا راكبا اما عرضت فبلغا	نداماي من نجران ان لا تلاقيا
ابا كرب والأيهمين كليهما	وقيساً بأعلى حضرموتَ اليمانيا
جزى الله قومي بالكلاب ملامةً	صريحهم والآخرين المواليا
ولو شئت نجتني من الخيل نهدة [2]	ترى خلفها الجردَ الجياد تواليا
ولكنني أحمي ذمارَ ابيكمُ	وكان الرماح يختطفن المحاميا
اقولُ وقد شدوا لساني بنسعةٍ	أمعشر تيمٍ اطلقوا من لسانيا
أمعشر تيم قد ملكتم فاسجحوا	فان اخاكم لم يكن من بوائيا

---

١ — الكلاب الثاني : يوم بين تميم واليمن .

٢ — النهدة : الفرس المرتفعة الخلق .

فان تقتلوني تقتلوا بيَ سيداً وان تطلقوني تحربوني بما ليا
أحقاً عبادَ الله ان لست سامعاً نشيد الرعاء المعذبين المتاليا
وتضحك مني شيخة عبشميّة كأن لم تر قبلي اسيراً يمانيا
وقد علمت عرسي مليكةُ أنني انا الليث معدواً عليّ وعاديا
وقد كنت نحّارَ الجزور ومعمل المطي وامضي حيث لاحي ماضيا
وانحر للشرب الكرام مطيتي واصدع بين القينتين ردائيا
وكنت اذا ما الخيل شمصها القنا [1]
لبيقاً بتصريف القناة بنانيا
وعادية [2] سوم الجراد وزعتها بكفي وقد انحو اليّ العواليا [3]
كأني لم اركب جواداً ولم أقل لخيلي كري نفِّسي عن رجاليا
ولم اسبأِ الزق الروي ولم أقل لايسار صدق اعظموا ضوء ناريا

---

١ — شمصها القنا : ضربها ونخسها .
٢ — العادية : القوم يعدون كذلك الخيل .
٣ — سوم الجراد : انتشاره في طلب المرعى .

سعيد بن العاص الأموي

في سجن دمشق

هو سعيد بن العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف توفي قبل بدر مشركا، وكان قدم الشام في تجارة ومعه هشام بن عبدالله ابن ابي قيس العامري ، فقبض عليهما عمر بن جفنة الغساني احد ملوك الغساسنة في الشام، وزجهما في السجن لأجل عثمان بن الحارث الغساني ، فكتب سعيد بن العاص الى قومه الامويين :

يا راكباً امّا عرضت فبلغن قومي يزيدا
عثمان أو عفان أو ابلغ مغلغلة أسيدا
فلأمدحن المادحين بمدحة تأتي شرودا

وقال يخاطب هشام وهما في السجن :

قومي وقومك يا هشام قد اجمعوا تركي وتركك آخر الاعصار

فاجتمع رأي الأمويين على أن يفتدوا سعيد بن العاص ، فجمعوا لذلك مالاً كثيراً وجاء به جماعة منهم الى الشام وافتدوه به من عمر بن جفنة ، وبقي هشام في السجن الى أن مات فيه .

مدخل العصر الاسلامي

دوّنا في هذا العصر ما رأيناه مناسباً لخطتنا في هذا الكتاب ، معتمدين في ذلك على أهم كتب التاريخ والتراجم والسير ، ولكنّ ما صادفناه من العناء الجم في تحصيل بعض هذه الموضوعات الخاصة في هذا العصر ، والعثور عليها من بطون المؤلفات الكثيرة فشيء لا يدخل في حساب ، ولم تكن مراجعة كتب التاريخ القديمة وتقليب أوراقها في هذا الشأن بهينة ، تعين الباحث على اقتباس ما يريد دون جهد وأتعاب ، بل لا بد من ذلك بالنظر إلى وضع الكتب القديمة فإنها لم توضع على فن يريح الباحث ، ويوفر عليه الاوقات ، ناهيك بما يحتشد فيها من اختلاف المواضيع ، وتشعب الابواب ، وعدم تمايز كل فن عن نظيره في نهج أو ترتيب ، ولعل هذا يهون في قياس ضبط الوقائع التاريخية التي لا تخلو قط من تعقد بعض الملابسات ، وغموض ما يرتكز عليه الباحث في معرفة ما يجد في مثل هذه القضايا من دواعي وأسباب . وهنا حين نطوي هذه الخواطر عن التاريخ نعود في لمحة قصيرة إلى أهم ما يتمثل في هذه الابحاث من نقاط : تبدأ هذه الابحاث من أيام البعثة النبوية إلى آخر أيام الإمام عليه السلام . وهي

وإن كانت ابحاثاً موجزة إلا أنها تمثل من هذا العصر ألواناً منسية من آداب وسياسات ووقائع وخصومات . كما أنها تكشف لنا من تاريخ هذا العصر بعض صحائف مطوية لم يُتح لها ناشر بمثل هذا الاتساق قبل الآن ؟

فروة بن عمرو الجذامي

في سجن فلسطين

هو فروة بن عمرو الجذامي النفاثي كان عاملًا للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله بعمان ، ولما ظهر النبي صلى الله عليه وآله بالدعوة الى الاسلام ارسل الى النبي باسلامه ، واهدى اليه بغلةً بيضاء ، فلما بلغ الروم اسلامه طلبوه حتى اسروه ، فحبسوه بفلسطين فقال في حبسه :

طرقت سليمى موهناً فشجاني   والروم بين الباب والقربان
صد الخيال وساءه ما قد رأى   وهممت أن اغفو وقد ابكاني

ولما اجتمعت الروم لصلبه على ماء يقال له (عفرى) بفلسطين قال :

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها   على ماء عفرى فوق احدى الرواحل
على ناقة لم يلقح الفحل ظهرها   مشذبة اطرافها بالمناجل

ثم قال :

بلغ سراة المسلمين بانني   سلم لربي اعظمي ومقامي

ثم ضربوا عنقه وصلبوه .

خبيب بن عدي الأنصاري

يوم الرجيع

هو خبيب بن عدي الأنصاري الأوسي شهد بـــدراً وأسر « يوم الرجيـع » في السرية التي خرج فيها مرثد بن ابي مرثد ، وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت في سبعة نفر فقتلوا ، وذلك في سنة ثلاث من الهجرة ، وأسر المشركون منهم اثنين هما خبيب ابن عدي وزيد بن الدثنة ، فانطلقوا بهما إلى مكة فباعوهمـــا فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر فمكث اسيراً عندهم اياما ثم اجمعوا على قتله ، فخرجوا من الحرم ليقتلوه ، فقال دعوني اصلي ركعتين فكان اول من صلى ركعتين عند القتل ، ثم قال اللهم احصهم عدداً وقال :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا	قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد قربوا أبناءهم ونساءهم	وقربتُ من جذع طويل ممنّع
وكلهم يبدي العداوة جاهداً	عليّ لأني في وثاق مضيع
الى الله اشكو غربتي بعد كربتي	وما جمع الأحزاب لي عند مصرعي
فذا العرش صبرني على ما اصابني	فقد بضعوا لحمي وقد ضل مطمعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ	يبارك على اوصال شلوٍ ممزع

وقـــد عرضوا بالكفر والموتُ دونه
وقد ذرفت عيناي من غير مدمع
ومـــا بي حذار الموت اني لميت
ولكنَ حذاري حر نار تلفـع
فلست بمبد للعـــدو تخشعاً
ولا جزعـاً اني الى الله مرجعي
ولست ابالي بعـد قتليَ مسلمـاً
على أي جنب كانَ لله مصرعي

ثم قتلوه رضوان الله عليه .

ابو محجن الثقفي

في قصر العذيب [1]

هو عبد الله بن حبيب الثقفي ، كنيته ابو محجن ، وموطنه الطائف ، جاهلي اسلامي ، كان فارساً شريفاً من ذوي البأس ، مولعاً بالشراب اقيم عليه الحد مراراً ، ونفاه عمر بن الخطاب الى جزيرة في البحر ، وبعث معه رجلاً فهرب منه ولحق بسعد بن ابي وقاص بالقادسية وهو يحارب الفرس ، فحبسه سعد في اسفل القصر معه فسمع انتماء الناس في آبائهم وعشائرهم ووقع الحديد وشدة البأس ، فتأسف على ما يفوته من تلك المواقف ، فحبا حتى صعد الى سعد يستشفعه ويستقيله ويسأله ان يخلي عنه ليخرج ، فزجره سعد ورده فانحدر راجعاً يرسف في قيوده وهو يقول :

---

١ — العذيب : ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان فقال هو ماء بين القادسية والمغيثة وفيه مسلحة للفرس . وذكره المسعودي في مروج الذهب فقال هو على فم البر وطرف السواد مما يلي القادسية ، وذكره الشعراء كثيراً قال بعضهم :

ألا فاسلمي يا نخلة بين قادس   وبين العذيب لا يجاورك النخل

كفى حزناً ان تردي الخيل بالقنا
واترك مشدوداً علـيّ وثاقيا
إذا قمت عنّاني الحديد وأغلقت مصاريع من دوني تصم المناديا
وقد كنت ذا مالٍ كثير واخوة فقد تركوني واحداً لا أخا ليا
وقـد شف جسمي أنني كلّ شارقٍ
اعالج كبلا مصمتاً قـد برانيـا
فلـله دري يوم اترك موثقـاً
وتذهل عـني اسرتي ورجاليـا
حبيساً عن الحرب العوان وقد بدت
واعمـال غـيري يوم ذاك العواليا
فلـله عهـد لا اخيس بعهـده
لئن فرجت ان لا ازور الحوانيـا
اريني سلاحي لا ابا لـك انني
ارى الحرب لا تزداد إلا تماديا

ورأى سلمى زوجة سعد بالقرب منه ، وكانت مع زوجها في القصر ، فقال لها ألا تطلقينني ولكِ عليّ ان سلمني الله ان ارجع حتى اضع رجلي في القيد ، وان قتلت استرحتم مني. فأطلقته فوثب على فرس سعد البلقاء ، ثم أخذ رمحاً وخرج فجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا هزمها ، فعجب منه سعد فقال : الصبر صبر البلقاء، والطعن طعن ابي محجن ، وابو محجن في القيد . فلما هزم العدو رجع ابو محجن ووضع رجليه في القيد وجعل يقول :

لقد علمت ثقيف غير فخر بأنا نحن اكرمهم سيوفا

واكرمهم دروعـاً سابغـاتٍ   واصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
وليـلة فارس لم يشعروا بي   ولم اشعر بمخرجي الزحوفـا
فـان احبس فذلـكمُ بلائي   وان اترك اذيقهم الحتوفـــا

ولما علم سعد بذلك قال : والله لا اضرب اليوم رجلا ابلى الله المسلمين على يده ما ابلاهم . فخلى سبيله . فقال ابو محجن : قد كنت اشربها اذ يقام عليّ الحد فاطهّر منها . اما الآن فلا والله لا اشربها .

الحطيئة

في سجن المدينة

هو جرول بن أوس من بني عبس كنيته ابو ملكية ولقبه الحطيئة ، جاهلي اسلامي عمّر دهراً طويلًا وتوفي عام ٥٩ هـ. كان دنيء النفس ، كثير الشر ، قليل الخير ، قبيح المنظر ، شاذّ الهيئة، مغمور النسب، فاسد الدين ، وقصته مع الزبرقان بن بدر مشهورة ، وقد احسن اليه فما لبث دون أن هجاه بقصيدته السينية الشهيرة ، فاستعدى عليه عمر بن الخطاب فحبسه فقال الحطيئة يعتذر اليه ويستعطفه :

اعوذ بجدك اني امرؤ سقتني الآعادي اليك السجالا
فإنك خير من الزبرقان اشد نكالا وارجى نوالا
تحنن عليّ هداك المليك فان لكل مقام مقالا
ولا تأخذني بقول الوشاة فان لكل زمان رجالا
فان كان ما زعموه صدقاً فسيقت اليك نسائي رحالا
حواسر لا يشتكين الوجا يخفضن آلاً ويرفعن آلا
وخصم تمنى عليّ المنى لأن جاش بحر قريع فسالا
اتتني لسان فكذبتها وما كنت احسبها ان تقالا
بأن الوشاة بلا حرمة انوك فراموا لديك المحالا

فجئتك معتذراً راجياً لعفوك ارهب منك النكالا

فلم يلتفت اليه عمر ولم يستمع إلى هذه المعاذير فقال يسترقه ويناشده العطف :

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ فاغفر عليك سلام الله يا عمر
انت الامام الذي من بعد صاحبه القت اليك مقاليدَ النهى البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فامنن على صبية بالرمل مسكنُهم بين الأباطح تغشاهم بها القرر
اهلي فداؤك كم بيني وبينهم من عرض داوية تعمى بها الخبر

فلما انتهى هذا الشعر إلى عمر رق له فأطلقه وأخذ عليه الا يهجو الناس [1] .

---

[1] — طبع الحطيئة على الشر فنزع في شعره الى الهجاء، وقد بلغ من لؤمه ان هجا اباه وامه وامرأته وحتى نفسه ، ولم يستطع الاسلام ان يرفع من هذه النفس الوضيعة ، ولا ان يفل من هذا المقول الجريء ، وحتى الزبرقان ابن بدر لم يسلم من لسانه مع عظيم احسانه اليه، وهو القائل في هجائه من قصيدته الشهيرة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

ويقول في هجاء نفسه :

أبت شفتاي اليوم ألا تكلما بهجر فما أدري الذي أنا قائله
أرى لي وجهاً قبح الله خلقه فقبح من وجه ، وقبح حامله

ومن قوله في هجاء أمه :

اغربالا اذا استودعت سراً وكانونا على المتحدثينا

وبيته الشهير في هجاء زوجته :

أطوف ما أطوف ثم آوي الى بيت قعيدته لكاع

ضابىء البرجمي

في سجن المدينة

هو ضابىء بن الحارث من البراجم . جاهلي اسلامي من أهل المدينة كان صاحب خيل وصيد، واستعار من بني عبدالله بن هوذة كلباً يقال له : «قرحان» ، فكان يصيد به البقر والظباء والضباع ، فلما بلغهم ذلك حسدوه فركبوا يطلبونه ، فقال لامرأته : اخلطي لهم في قدرك من لحوم البقر والظباء والضباع ، فان عافوا بعضاً وأكلوا بعضاً تركوا لك كلبك ، وان هم لم يعرفوا بعضه من بعض فلا كلب لك . فلما أطعمهم أكلوه كله ولم يعرفوا بعضه من بعض ، ثم أخذوا الكلب فغضب ورمى أمهم بالكلب [1] ، فاستعدوا عليه عثمان بن عفان ، فأمر بجز ناصيته وحبسه ، وأراد

---

١ – وهو القائل في ذلك من أبيات :

فيا راكباً إما عرضتَ فبلِّغن — امامةَ عني والامورُ تصيرُ
فانك لا مستصحب عن عنايةٍ — ولكن كريمٌ ما استطاع فخور
فامكم لا تسلموهـا لكلبكم — فان عقوقَ الوالداتِ كبير
وانك كلب قد ضربت بما ترى — سميعٌ بما فوق الفراش بصير
إذا عثنت من آخر الليل دخنة — يبيتُ لها فوق الفراش هدير

ان يفتك بعثمان فما تمكن ومات في السجن. وهو شاعر مجيد وله في السجن شعر صادق يمثل نزعاته الثائرة ، ومن ذلك قوله بعد ان أخفق في اغتيال عثمان :

من قافل أدنى الإله ركابَه ... يبلغ عني الشعرَ إذ مات قائله
فاني واياكم وشوقاً اليكُمُ ... كقابض ماء لم تطقه انامله
فلا يقبلنْ بعدي امرؤسيم حظه ... لقاءَ حذارِ الموت فالموتُ نائله
وقائلةٍ ان مات في السجن ضابىء ... لنعم الفتى تخلو به ونواصله
وقائلة لا يبعدنْ ذلك الفتى ... ولا تبعدن اخلاقُه وشمائله
وقائلة لا يبعد الله ضابئاً ... اذا الكبشُ لم يوجد لهمن ينازله
وقائلة لا يبعد الله ضابئاً ... اذ الخصم لم يوجد له من يقاوله
فلا تُتبعيني ان هلكتُ ملامةً ... فليس بعارٍ قتلُ من لا اقاتله
هممت ولم افعل وكدت وليتني ... تركتُ على عثمان تبكي حلائله
وما الفتك ما أمرت فيه ولا الذي ... تخبر من لاقيت انك فاعله ؟

*

ومن شعره الذي يتعلق بنوازعه :

دعاك الهوى والشوقُ لما ترنّمت
هتوف الضحى بين الغصون طروبُ
تجاوبها وِرقُ الحمام لصوتها
فكل لكل مسعد ومجيب
ومن يك أمسى في المدينة رحلُه
فاني وقيار [١] بها لغريب

---

١ – قيار : اسم جمل للشاعر .

وما عاجلاتُ الطير تدني من الفتى
نجاحاً ولا عن ريثهن يخيب
وربّ امورٍ لا تضيرك ضيره
وللقلب من مخشاتهن وجيب
ولا خير فمن لا يوطن نفسه
على نائباتِ الدهر حين تنوب
وفي الشك تفريطٌ وفي الحزم قوةٌ
ويخطي الفتى في حدسه ويصيب
ولست بمستبق صديقاً ولا اخا
إذا لم تعد الشيء وهو يريب

عبد الرحمن الجمحي

في سجن خيبر [1]

هو عبد الرحمن بن حنبل الجمحي « بالولاء » ، كان أبوه من أهل اليمن ، فسقط الى مكة فولد له بها كلدة وعبد الرحمن ، وكانا ملازمين لصفوان بن امية بن خلف الجمحي ، وكان عبد الرحمن شاعراً مطبوعاً عذب الشعر يحسن الهجاء ، وقد هجا عثمان ابن عفان ، لما بلغه انه اعطى مروان بن الحكم خمس الغنيمة من فيء افريقية ، فأمر عثمان بحبسه فحبس بخيبر في حصن القموص ، فقال يناشد علياً ويصف له حاله في السجن :

الى الله أشكو لا الى الناس ما عدا
أبا حسنٍ غلّاً شديداً أكابده

---

١ – خيبر هي ناحية على ثمانية (برد) من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية ، وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير ، وتسمى هذه الحصون « خيابر » ، وقد فتحها النبي «ص» كلها في سنة ٧ للهجرة وقيل سنة ٨ ه.

بخيــــبر في قعر القموص كأنهـا

جوانبُ قبرٍ اعمق اللحد لاحــــده

أ إن قلت حقـاً أو نشدت أمانةً

قتلت ، فمن للحق إن مات ناشده

فكلم فيه علي" عليه السلام عثمانَ فأطلقه من السجن . وعاش عبدالرحمن حتى شهد مع الإمام الجملَ وصفين وقتل فيها سنة٣٧هـ.

الاصبغ بن ضرار

في سجن صفين [1]

هو الأصبغ بن ضرار الأزدي من شعراء أهل الشام . ومن مسالح معاوية وطلائعه يوم صفين ، وكان موقفه مما اغاظ علياً عليه السلام ، فندب له مالك الأشتر فأخذه أسيراً من غير قتال ، فجاء به ليلاً فشد وثاقه والقاه عند اصحابه ينتظر به الصباح ، فأيقن الأصبغ بالقتل ونام اصحابه فرفع عقيرته واسمع الاشتر وقال :

ألا ليت هذا الليلَ اصبح سرمداً على الناس لا يأتيهمُ بنهارِ
يكون كذا حتى القيامةِ انني احاذرُ في الإصباح يومَ بواري
فيا ليلُ اطبقْ انّ في الليل راحة وفي الصبح قتلي او فكاك اساري
ولو كنت تحت الأرض ستين وادياً
لما ردّ عني ما اخاف حذاري
فيا نفس مهلاً ان للموت غاية فصبراً على ما ناب يا ابن ضرار

---

[1] – صفين : بكسرتين وتشديد الفاء موضع بقرب (الرقة) على شاطىء الفرات من الجانب الغربي ، وفيها وقعة صفين المعروفة بين علي عليه السلام ومعاوية .

أأخشى ولي في القوم رحمٌ قريبة ؟
أبى الله ان أخشى ومالك جاري
ولو انه كان الأسير ببلدة اطاع بها شمرّتُ ذيل ازاري
ولو كنت جار الأشعث الخيرِ فكني
وقلّ من الأمر المخوف فراري
وجار سعيد او عدي بن حاتم وجار شريح الخير قرّ قراري
وجار المرادي الكريم وهانيء وزجر بن قيس ما كرهت نهاري
ولو أنني كنت الأسيرَ لبعضهم دعوت فتى منهم ففكّ اساري
اولئك قومي لا عدمت حياتهم وعفوَهمُ عني وسترَ عواري

فغدا به الاشتر إلى علي « ع » فقال : يا أمير المؤمنين ان هذا الرجل من مسالح معاوية أصبته أمس ، وبات عندنا الليل فحركنا بشعره ، وله رحم فإن كان فيه القتل فاقتله ، وان ساغ لك العفو عنه فهبه لنا . فقال : هو لك يا مالك ، وإذا أصبت منهم أسيراً فلا تقتله فإن أسير أهل القبلة لا يقتل . فرجع به مالك إلى منزله وخلّى سبيله .

مدخل العصر الاموي

ترجع أكثر آثار القوة والحياة التي اكتسبها الأدب العربي في العصر الأموي إلى توفر العوامل وتعدد الميزات التي خضع لهيمنتها اكثر خصائص ذلك العصر من أدب وسياسة واجتماع ، وتدور هذه العوامل والميزات على طبيعة الوضع الناجم عن جراء الاحوال الراهنة ، والاتجاهات السياسية ، والمنافسات القبلية التي حفل بها ذلك العصر بوجه خاص .

ولم تأخذ الدولة الأموية يوم ظهرت وعلى رأسها معاوية بأية سياسة رشيدة في مواجهة الأحداث والمنافسات والاتجاهات ، بل سارت على ضوء سياسة غير مألوفة في تاريخ الاسلام ، ومن هنا تظهر لأول مرة في هذا التاريخ حوادث الارهاب ، وتشيع الرهبة وتشتد الوطأة على الناس من الشيعة وغيرهم من الخوارج والمناوئين لآل أبي سفيان وتمتلىء السجون في النهاية بعدد غير قليل من وجوه هذه الطبقة وذوي اللسن منهم ، ومن هنا نكتب حين نتناول من تاريخ هذه الفترة الصارمة أحر ما احتفظ به التاريخ لأولئك المساجين من بيان .

وفي هـــذا العصر من نواح أخرى نقرأ لشتى المسجونين من شعراء الدولة الأموية المشهورين وغيرهم من صعاليك الأعراب واللصوص أمثلة رائعة من أدب السجون ومشاعر أدبائها ، وترسم من أدبهم وعواطفهم ظلالاً كاد يعفو عليه النسيان .

عبد الله بن هاشم المرقال

في سجن دمشق

هو عبدالله بن هاشم بن عتبة بن أبي وقـاص الزهري ، من شعراء العراق وخطبائهم وفرسانهم يوم صفين ، أخذ اللواء حين قتل أبوه هاشم في وسط المعركة [1] وأبلى في ذلك اليوم بلاءً عظيماً ، فكان ذلك من أقوى الأسباب التي أوجبت غضب معاوية عليه ، وقد استشرى هذا الغضب بعد استتباب الأمر له بالعراق وتأميره زياداً على البصرة ونادى مناديه : أمن الأسود والأحمر بأمان الله إلا عبدالله بن هاشم . ولما ظفر به زياد شدّ يده إلى عنقه ، وبعث به إلى دمشق كما أمره معاوية .

فأدخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص فقال معاوية لعمرو ابن العاص : هل تعرف هذا ؟ قال لا . قال : هذا الذي يقول

---

١ — كان عبدالله يرتجز في ذلك اليوم ويقول :

يا هاشم بن عتبة بن مالكْ أعزز بشيخٍ من قريش هالكْ
تخبط الخيلين بالسنابك أبشر بحور العين في الأرائك
والروح والريحان عند ذلك

أبوه يوم صفين :

اني شريت النفسَ لما اعتلا وأكثر اللوم وما أقلا
أعورُ يبغي أهله محلا قد عالج الحياة حتى ملا
لا بدّ أن يفلّ أو يفلا أسلهم بذي الكعوب سلا
لا خير عندي في كريم ولّى

فقال عمرو متمثلاً :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

دونك يا أمير المؤمنين الضب الضب فأشخب أوداجه على أسباجه ، ولا ترده إلى أهل العراق ، فإنه لا يصبر على النفاق ، وهم أهل غدر وشقاق ، وحزب إبليس ليوم هيجانه ، وان له هوى سيؤديه ، ورأياً سيطغيه ، وبطانةً ستغويه ، وجزاء سيئة مثلها .

فقال عبدالله : يا عمرو إن أقتل فرجل أسلمه قومه ، وأدركه يومه ، أفلا كان هذا منك إذ تحيد عن القتال ، ونحن ندعوك للنزال ، وأنت تلوذ بشمال النطاف ، وعقائق الرصاف ، كالأمة السوداء ، والنعجة القوداء ، لا تدفع يد لامس . فقال عمرو : أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تخفق أحشاؤه ، وتبق أمعاؤه ، وتضطرب أصلاؤه ، كأنما انطبق عليه ضمد . فقال عبدالله : يا عمرو إنا قد بلوناك ومقالتك ، فوجدنا لسانك كذوباً ، غادراً ، خلوت بأقوام لا يعرفونك ، وجند لا يسأمونك ، ولو رمت المنطق في غير أهل الشام لجحظ اليك عقلك ، ولتلجلج لسانك ، ولاضطرب فخذاك اضطراب القعود الذي أثقله حمله . فقال معاوية :

أيهاً عنكما . وأمر به إلى السجن فكتب عمرو إلى معاوية :

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني وكان من التوفيق قتل بن هاشم
أليس أبوه يا معاوية الذي أعان علياً يوم حزّ الغلاصم
فلم ينثن حتى جرت من دمائنا بصفين أمثال البحور الخضارم
وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه ويوشك أن تقرعْ به سن نادم

فكتب به معاوية إلى عبدالله وهو في السجن فأجابه عبدالله :

معاوي ان المرء عمراً أبت له ضغينة صدر غشها غير نائم
يرى لك قتلي يا بن هند وإنما يرى ما يرى عمرو ملوك الأعاجم
وقد كان منا يومَ صفين نعرةٌ عليك جناها هاشم وابن هاشم
قضى ما قضى منها وليس الذي مضى
ولا ما جرى إلا كأضغاث حالم
فإن تعفُ عني تعفُ عن ذي قرابة
وإن ترَ قتلي تستحل محارمي

فقال معاوية :

أرى العفو عن عليا قريش وسيلةً إلى الله في اليوم العصيب القماطر
ولست أرى قتل العداة ابن هاشم بادراك ثاري في لوي وعامر
بل العفو عنه بعد ما بان جرمهُ وزلت به إحدى الجدود العواثر
فكان أبوه يوم صفين جمرةً علينا فأردته رماح نهابر

صعصعة بن صوحان العبدي

في سجن دمشق

هو صعصعة بن صوحان العبدي ، كان مسلماً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولم يلقه ولم يره لصغره عن ذلك ، وكان من سادات قومه عبد القيس ، وكان فصيحاً عاقلاً خطيباً لسناً ديناً بليغاً . وكان من وجوه أصحاب علي عليه السلام وأنصاره . قتل أخواه زيد وسيحان يوم الجمل .

وكان صعصعة بن صوحان وعبدالله بن الكوّاء اليشكري في جملة من حبسهم معاوية بعد أن صار الأمر إليه ، فدخل عليهم السجن يوماً فقال : نشدتكم الله إلا ما قلتم حقاً وصدقاً أي الخلفاء رأيتموني ؟ فقال ابن الكوّاء : لولا أنك عزمت علينا ما قلنا لأنك جبار عنيد ، لا تراقب الله في قتل الأخيار ولكنا نقول : إنك ما علمنا واسع الدنيا ، ضيق الآخرة ، قريب الثرى بعيد المرعى ، تجعل الظلمات نوراً والنور ظلمات .

فقال معاوية : إن الله أكرم هذا الأمر بأهل الشام الذابّين عن بيضته ، التاركين لمحارمه ، ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله ، المحلين ما حرم الله ، والمحرمين ما أحل الله .

فقال عبدالله ابن الكوّاء : يا ابن أبي سفيان، لكل كلام جواب، نحن نخاف جبروتك ، فإن كنت تطلق ألسنتنا ذببنا عن أهل العراق بألسنة حداد لا يأخذها في الله لومة لائم ، وإلا فانا صابرون حتى يحكم الله، ويضعنا على فرجه. فقال: لا والله لا يطلق لك لسان . ثم تكلم صعصعة فقال :

تكلمت يا بن ابي سفيان فابلغت ولم تقصر عما أردت وليس الأمر كما ذكرت . انّى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً ، ودانهم كبراً ، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً ، أما والله ما لك يوم بدر مضرب ولا مرمى ومـا كنت فيه إلا كما قال القائل : « لا حلي ولا سيري »[1] ولقد كنت انت وابوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وآله، فانّى تصلح الخلافة لطليق . فقال معاوية لولا أني أرجع إلى قول ابي طالب حيث يقول :

قابلت جهلهم حلماً ومغفرة والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

لقتلتكم

وكانت وفاة صعصعة بالكوفة في خلافة معاوية . وفي رواية اخرى ان المغيرة نفاه بأمر معاوية من الكوفة إلى الجزيرة ، أو إلى البحرين فمات بها .

---

١ — لا حلي ولا سيري : هو من أمثال العرب يريد لم يكن لك فيه أمر ولا نهي . وقد رجح بعضهم ان الاصل فيه « لا حاء ولا ساء » انظر مجمع الامثال للميداني ٢ : ٨٥ طبع بولاق .

معاذ بن جوين الشاري

في سجن الكوفة

معاذ بن جوين بن حصين الطائي من زعماء الخوارج وشعرائهم وفرسانهم ، وكان احد الثلاثة الذين فزع الخوارج اليهم في ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة من قبل معاوية ، وهم المستورد بن علفة التميمي ، وحيان بن ظبيان السلمي ، ومعاذ بن جوين الطائي ، فولوا امرهم بعد الشورى المستورد بن علفة لأنه كان أسن القوم ، وتواعدوا ان يتجهزوا ويتيسروا ثم يخرجوا في غرة هلال شعبان سنة ٤٣ للهجرة ، فكانوا في جهازهم وعدتهم ، فجاء رئيس شرطة المغيرة اليه وأخبره بأمرهم ، وانهم مجتمعون في منزل حيان بن ظبيان ، وانهم خارجون عليه في هلال شعبان ، فأمره ان يسير بالشرطة اليهم فسار اليهم واحاط بالدار وقبض على المجتمعين هناك ، وكان فيهم معاذ بن جوين فزجهم بالسجن ، فقال معاذ بن جوين وهو محبوس يخاطب الخوارج ، ويحرضهم على الخروج والقتال :

ألا ايها الشارون قد حان لامرىء ... شرى نفسه في الله ان يترحلا
اقمتم بدار الخاطئين جهالة ... وكل امرىء منكم يصاد ليقتلا

فشدوا على القوم العداة فانما اقامتكم للذبح رأي مضللا

ألا فاقصدوا يا قومُ للغاية التي اذا ذكرت كانت أبر وأعدلا

فيا ليتني فيكم على ظهر سابحٍ شديد القصيرى دارعاً غير اعزلا

ويا ليتني فيكم اعادي عدوكم فيسقيَني كأس المنية اولا

يعزّ عليّ ان تخافوا وتُطردوا ولما اجرّد في المحلين منصلا

ولما يفرقْ جمعَهم كل ماجد اذا قلت قد ولى وادبر أقبلا

مشيحاً بنصل السيف في حمس الوغى يرى الصبر في بعض المواطن أمثلا

يعزّ عليّ ان تضاموا وتنقصوا وأصبح ذا بث اسيراً مكبلا

ولو أنني فيكم وقد قصدوا لكم أثرت إذن بين الفريقين قسطلا

فيا ربّ جمع قد فللت وغارة شهدت وقرن قد تركت مجدلا

وكانوا قد بقوا نحواً من سنة في السجن ، وسمع اخوانهم بأخذهم فحذروا ، وخرجوا من الكوفة بعد أن تكاملوا ثلثمائة رجل بقيادة المستورد ، فجدّ المغيرة معهم في القتال وجمع لهم الجموع ، فقتل المستورد وتفانى اكثر اصحابه وانهزم الباقون .

خالد بن المهاجر المخزومي

في سجن دمشق

هو خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي من شعراء قريش وشجعانهم ، وكان على رأي أبيه المهاجر هاشمي المذهب ، وكان اسوأ الناس رأياً في عمه عبد الرحمن بن خالد ، لان أباه المهاجر كان مع علي عليه السلام بصفين ، وكان عبد الرحمن مع معاوية ، ولما تم الامر الى معاوية واراد أن يظهر العقد ليزيد ، قال لأهل الشام : ان امير المؤمنين قد كبرت سنه ، ودق عظمه ، واقترب اجله ، ويريد أن يستخلف عليكم فمن ترون؟ قالوا : عبدالرحمن . فسكت واضمرها ودس ابن اثال الطبيب اليه سماً فمات وبلغ ابن اخيه خالد بن المهاجر خبره فحمى ودعا مولى له يدعى نافعاً ، فاخبره الخبر ، وقال له : لا بد من قتل ابن اثال . وكان نافع جلداً شهما فخرجا حتى قدما دمشق ، وكان ابن اثال يمسي عند معاوية ، فجلس له في مسجد دمشق الى اسطوانة ، وجلس غلامه الى اخرى حتى خرج ، فقال خالد لنافع : اياك ان تعرض له فاني اضربه ، ولكن احفظ ظهري واكفني ورائي ، فان رابك شيء تراه من خلفي فشأنك . فلما حاذاه وثب عليه خالد فقتله ،

وثار اليه من كان معه فصاح بهم نافع ، فانفرجوا ومضى خالد ونافع وتبعهما من كان معه فلما غشوهما حملا عليهم ، فتفرقوا حتى دخل خالد ونافع زقاقاً ضيقاً ففاتا القوم ، وبلغ معاوية الخبر فقال : هذا خالد بن المهاجر اقلبوا الزقاق الذي دخل فيه . ففتش عليه فأتى به فقال: لا جزاك الله من زائر خيراً ، قتلت طبيبي . قال : قتلت المأمور وبقي الآمر. فقال : عليك لعنة الله اما والله لو كان تشهّد مرة واحدة لقتلتك به ، أمعك نافع ؟ قال : لا . قال : بلى . والله ما اجترأت إلا به . ثم أمر به فطلب فوجد فأتى به فضربه مائة سوط ولم يهج خالداً بشيء اكثر من أن امر بحبسه والزم بني مخزوم دية ابن اثال أثني عشر الف درهم فقال خالد وهو في السجن :

اما خطاي تقاربت	مشي المقيد في الحصار
فبما أمشّي في الأباطح	يقتفي اثري ازاري
دع ذا ولكن هل ترى	ناراً تشب بذي مزار
ما ان تشب لقرةٍ	بالمصطلين ولا قتار
مـا بال ليلك ليس	ينقص طوله طول النهار

فلما بلغت معاوية هذه الابيات رق له واطلقه من السجن .

هدبة بن خشرم العذري

في سجن المدينة

هو هدبة بن خشرم بن كوذ بن حجير بن أسحم العذري ، كان قد اصطحب مع زيادة بن زيد الحارثي ، وهما مقبلان من الشام في نفر من قومهما ، فقال زيادة في فاطمة أخت هدبة ابن خشرم :

عوجي علينا واربعي يا فاطما أما ترين الدمع مني ساجما

فقال هدبة في أم قاسم أخت زيادة :

متى تقول القلص الرواسما يحملن أم قاسم وقاسما

فسبت زيادة هدبة فضربه على ساعده وشج أباه خشرماً ، وقال في ذلك :

شججنا خشرما في الرأس عشراً ووقفنا هديبة إذ أتانا

فبيت هدبة زيادة فقتله ، فرفع عبدالرحمن أخو زيادة أمر أخيه إلى سعيد بن العاص ، وكان أمير المدينة زمن معاوية بن أبي سفيان ، فكره سعيد الحكم بينهما فأرسلهما إلى معاوية ، فلما صارا بين يديه قال عبد الرحمن : يا أمير المؤمنين أشكو اليك مظلمتي وقتل أخي . فقال معاوية : يا هدبة قل . قال: إن شئت

أن أقص عليك كلاماً أو شعراً ؟ قال : لا بل شعراً فانه أمتع فقال :

أيا يا لقَومي للنوائب والدهرِ ... والمرء يودي نفسه وهو لا يدري
وللأرض كم من صالح قد تلثمت ... عليه فوارته بلماعة قفر
فلا ذا جلال هبنه لجلاله ... ولا ذا ضياع هن يتركن للفقر
فلما رأيت الموت ان هو ضربة ... من السيف او اغضاءُ عين على وتر
عمدت لأمر لا يعيّر والدي ... خزايته ولا يسب له قبري
رمينا فراميننا فصادف سهمُنا ... منّيةَ نفس في كتاب وفي قدر
وأنت امير المؤمنين فما لنا ... وراءك من معدى ولا عنك من قصر
فان تلك في اموالنا لا نضقْ بها ... ذراعاً وان صبراً فنصبر للصبر

فقال له معاوية : اراك قد اقررت يا هدبة . فقال له عبد الرحمن : اقدني . فكره ذلك معاوية وضن بهدبة عن القتل ، فقال: ألزيادة ولد ؟ قال نعم.. قال : صغير ام كبير؟ قال : بل صغير . قال : يحبس هدبة الى ان يبلغ . فأرسله الى المدينة فحبس بها سبع سنين . فلما بلغ ابن زيادةَ عرضت عليه عشر ديات فأبى إلا القود .

ولما دنا قتل هدبة توجع ، وهاجت بلابل احزانه ، وانشأ يخاطب ابن عمه أبا نمير ، وكان معه في السجن بقصيدة رائعة ألمّ فيها بكثير من النوازع والاحساسات التي كانت تراوحه في هذا السجن وتغاديه :

طربت وأنت احياناً طروبُ ... فكيف وقد تعلاك المشيبُ
يجدّ النأي ذكرك في فؤادي ... إذا ذهلت على النأي القلوب

يؤرقني اكتئابُ أبى نمير فقلبي من كآبته كئيب
فقلت له هداكَ اللهُ مهلاً وخير القول ذو اللب المصيب
عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائفٌ ويفك عان ويأتي أهله النائي الغريب
ألا ليت الرياح مسخراتٌ بحاجتنا تباكرُ أو تؤوب
فتخبرنا الشمالُ إذا أتتنا وتخبر أهلَنا عنا الجنوب
فإنا قد حللنا دارَ بلوى فتخطئنا المنايا أو تصيب
فان يك صدر هذا اليوم ولىّ فان غداً لناظرِه قريب
وقد علمت سليمى أن عودي على الحدثان ذو أيدٍ صليب
وأن خليقتي كرمٌ وأني اذا ابدت نواجذها الحروب
أعينُ على مكارمها وأغشى مكارهها اذا كسع الهبوب
وقد أبقى الحوادث منك ركناً صليباً ما تؤيّسه الخطوب
معي ان المنية قد توافي لوقتٍ والنوائب قد تنوب

ولما ذهب الى (الحرة) ليُقتل لقيه عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت فقال له انشدني فقال :

ولست بمفراحٍ إذا الدهر سرّني
ولا جازعٍ من صرفه المتقلب
ولا ابتغي شراً إذا الشرُ تاركي
ولكن متى أحمل على الشر أركب
وحرّبني مولاي حتى خشيته
متى ما يحر بك ابن عمك تحرب

وراعه ازدحام الناس وقد علا صراخ النساء فقال :

ألا عللاني قبل نوحِ النوائح وقبل ارتقاء النفس فوق الجوانح[1]
وقبل غدٍ يا لهف نفسي على غد اذا راح اصحابي ولست برائح
اذا راح اصحابي تفيضُ عيونهم وغودرت في لحدٍ عليَّ صفائحي
يقولون هل اصلحتم لأخيكم وما اللحد في الأرض الفضاء بصالح

والتفت الى امرأته وقال وكان أنفه جدع في حرب :

اقلي عليَّ اللوم يا أمَ برزعا ولا تجزعي مما اصاب فأوجعا
فان يك انفي بان منه جماله فما حسبي في الصالحين بأجدعا
ولا تنكحي ان فرق الدهر بيننا اغم القفا والوجه ليس بانزعا
ضروباً بلحييه على عظم زوره إذا القوم هشوا للفعال تقنعا

فسألت القوم ان يمهلوه قليلاً ثم أتت « جزاراً » ، فاخذت منه سكيناً فجدعت انفها ، ثم أتت مجدوعة الانف ، فقالت : أهذا فعل من له في الرجال حاجةٌ ؟ فقال : الآن طاب الموت .

ثم التفت الى ابويه وهما يبكيان فقال :

أبلياني اليوم صبراً منكما ان صبراً منكما اليوم يُسِرْ
ما اظن الموت إلا هيناً إن بعد الموت دارَ المستقر
اصبرا اليوم فإني صابر كل حيٍّ لفناء وقدر

ثم رمق السماء ببصره وقال :

أذا العرشِ إني مؤمن بك عائذ مقرٌ بزلاتي اليك فقيرُ
واني وان قالوا امير مسلط وحجاب ابواب لهن صرير

---

١ – ليست هذه الابيات لهدبة وانما هي « لابي الطمحان القيني » راجع شعراء العصور « ج ١ : ص ٣٥ » وقد تمثل بها هدبة هنا للمناسبة .

لأعلمُ ان الأمر امرُكِ ان تدن   وان تعفُ ربي فأنت غفور

ثم اقبل على ابن زيادة فقال : أثبت قدميك ، وأجد الضربة فاني أيتمتك صغيراً وارملت امـــك شابة ، وسأل فك قيوده ففكت ، حيث يقول :

فان تقتلوني بالحديـــد فانني   قتلت اخاكم مطلقاً لم يقيد

ثم ضربت عنقه .

ابن مفرغ الحميري

في سجن سجستان [1]

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ [2] الحميري ، كان شاعراً مطبوعاً يجيد الغزل والوصف ، وكان هجاءً مقذعا ، وقد استصحبه سعيد ابن عثمان لما ولي خراسان زمن معاوية ، فلم يصحبه وصحب عباد ابن زياد ، وكان عباد رجلا لئيما ملولا طويل اللحية ، فاتفق أن ركب ذات يوم وابن مفرغ في موكبه ، فهبت ريح فنفشت لحيته فقال ابن مفرغ :

ألا ليت اللحى كانت حشيشاً   فترعاها خيول المسلمينا

فبلغ ذلك عباداً فغضب وجفاه ، فهجاه ابن مفرغ ، فدس عباد اليه غرماءه يتقاضون ديونهم ، فلم يجدوا غير جارية اسمها

---

١ سجستان : هي ناحية كبيرة وولاية واسعة ، وذهب بعضهم الى ان سجستان اسم للناحية ، واسم بلدتها « زرنج » ، وبينها وبين هرات ثمانون فرسخاً ، وهي جنوب « هرات » ، وفيها نخل كثير ، وفي أهلها عظم خلق وجلادة وهم فرس .

٢ — مفرغ : لقب جده سمي به ، لانه راهن على أن يشرب سقاء لبن فشربه كله .

« الاراك » ، وغلام اسمه « برد » ، وكان يحبهما حباً شديداً فباعوهما قهراً ، ثم حبسه . وفي هذا السجن يقول في غلامه وجاريته من قصيدة :

شربت برداً ولو ملكت صفقته   لما تطلب في ربيع له رشدا
لولا الدعيّ ولولا ما تعرض لي   من الحوادث ما فارقته ابدا
يا برد ما مسنا بردٌ أضرّ بنا   من قبل هذا ولا بعنا له ولدا
اما الأراكُ فكانت من محارمنا   عيشاً لذيذاً وكانت جنة رغدا
قد خاننا زمنٌ لم نخش عثرته   من يأمن اليوم أم من ذا يعيش غدا

ثم أخذه عبيد الله بن زياد أخو عباد بن زياد من أخيه وحبسه ، وهو يومئذ على البصرة وعذبه وسقاه دواء ، ثم حمل على حمار وطيف به في شوارع البصرة ، وقرن بهرة وخنزيرة فجعل يسلح في ثيابه ، وكلما جر الخنزيرة ضجت فقال :

ضجت سمية لما لزها قرني   لا تجزعي ان شرّ الشيمة الجزعُ

ولما خيف عليه الموت ، أمر به عبيد الله أن يغسل ، فقال في ذلك من قصيدة :

دارَ سلمى بالخبت ذي الاطلال   كيف نومُ الأسير في الأغلال
أين مني السلامُ من بعد نأي   فارجعي لي تحيتي وسؤالي
أين مني نجائبي وجيادي   وغزالي سقى الإلهُ غزالي
أين لا أين جنتي وسلاحي   ومطايا سيرتها لارتحالي
هدم الدهر عرشنا فتداعى   فبلينا إذ كلّ عيش بالي
اذ دعانا زواله فأجبنا   كلّ دنيا ونعمة لزوال
أم قضينا حاجاتنا فإلى الموتِ   مصيرُ الملوك والأقيال

لا وصومي لربنا وزكاتي وصلاتي أدعو بها وابتهالي
ما أتيت الغداة أمراً دنياً ولدى الله كابرُ الأعمال
أيها المالك المرهب بالقتل بلغت النكال كل النكال
فاخش ناراً تصلي الوجوهَ ويوماً يقذف الناس بالدواهي الثقال
قد تعديت في القصاص وادركتَ
ذحولا لمعشر أقتال
وكسرت السن الصحيحة مني لا تذلني فمنكرٌ اذلالى
وقرنتم مع الخنازير هراً ويميني مغلولة وشمالي
وكلاباً ينهشنني من ورائي عجب الناس مالهن ومالي ؟
واطلتم مع العقوبة سجنا فكم السجن او متى ارسالي
يغسل الماء ما أصبت، وقولي راسخ منك في العظام البوالي

ورده عبيد الله الى اخيه بسجستان ووكل به رجالاً امرهم ان يأخذوه بمحو ما كتب من هجاء عباد باظافيره . وكان يكتب هجاءه على الحيطان ، وأمرهم الا يدعوه يصلي إلا الى قبلة النصارى ، فالزموه بذلك حتى فسدت انامله ، فكان يمحو بعظام اصابعه ودمه ، حتى اسلموه الى عباد فحبسه وضيق عليه ، فقال يذكر هذه الشجون ويهجو عبيد الله وعبادا :

سرتْ تحت اقطاع من الليل زينبُ سلامٌ عليكم هل لما فات مطلب
وقالت تجنبنا ولا تقربننا فكيف وانتم حاجتي أتجنب
قرنت بخنزير وهرٍ وكلبةٍ زماناً وكان الجلد ضرب مشذب
وجرِّعتها صهباء من غير لذةٍ تصعد في الجثمان ثم تصوب
واطعمت مالاً ان يحل لآكل وصليت شرقاً بيت مكة مغرب

من الطف مجلوباً الى ارض كابلٍ فملوا وما مل الأسير المعذب
فلو ان لحمي إذ هوى لعبت به كرام الملوك من أسود واذؤب
لهوّن وجدي او لزادت بصيرتي ولكنما اودت بلحمي أكلبُ
أعبادُ ما للؤمِ عنك محولٌ ولا لك أمٌّ في قريشٍ ولا أب
سينصرني من ليس تنفعُ عندَه رقاك وقرمٌ من أمية مصعب
وقـــل لعبيد الله ما لـــك والدٌ

بحق ولا يدري امرؤ كيف تنسب

ثم دخل في أمره عند معاوية اناس من اليمن ، فوجه اليه بريداً يقال له حمحام فاخرجه من السجن ، وقدمت اليه بغلة من بغال البريد فركبها ، فلما استوى على ظهرها نفرت فقال :

عدس ما لعباد عليك امارةٌ نجوت وهـذا تحملين طليقُ
فان الذي نجى من الكرب بعدما تلاحم في دربٍ عليك مضيق
اتاك بحمحام فانجـاك فالحقي بأرضك لا تحبس عليك طريق
لعمري لقد نجاك من هوة الردى إمامٌ وحبـــل للانام وثيق
سأشكر ما اوليت من حسن نعمةٍ

ومثـــلي بشكر المنعمين خليـــق

آمنة بنت الشريد الثقفية

في سجن دمشق

هي آمنة بنت الشرّيد بن سويد الثقفية ، زوج عمرو بن الحمق الخزاعي الصحابي الجليل [1] ، واحدى النساء الشهيرات اللواتي اوتين حظاً من البلاغة ، وممن كان لها مع معاوية بن ابي سفيان شأن . وكان معاوية قد سجنها في دمشق سنتين قبل مقتل زوجها ،

---

١ – عمرو بن الحمق بفتح اوله وكسر الميم بعدها قاف: ابن كاهل ، ويقال الكاهن بن حبيب بن عمرو بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعد ابن كعب بن عمرو الخزاعي الكعبي . وكان صحابياً هاجر بعد الحديبية ، وقيل اسلم بعد حجة الوداع والاول أصح . شهد بدراً وسقى النبي صلى الله عليه وآله يوماً لبناً فقال : اللهم امتعه بشبابه . فمر ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء ، يعني انه استكمل الثمانين ، لا انه عاش بعد ذلك ثمانين ، سكن الشام ثم الكوفة ، وكان ممن قام على عثمان مع اهلها ، وشهد مع علي حروبه ثم قدم الى مصر . وكان من اعوان حجر بن عدي ، فلما قبض زياد على حجر بن عدي وارسله مع اصحابه الى الشام ، فر عمرو بن الحمق ، وذكر ابن حيان انه توجه الى الموصل ، فدخل غاراً فنهشته حية فمات . وقيل ان عبدالرحمن بن عثمان الثقفي قتله بالموصل وأرسل برأسه الى معاوية سنة خمسين او احدى وخمسين ، وقيل بل عاش الى ان قتل في وقعة الحرة سنة ثلاث وستين .

فلما قتل وحمل رأسه الى معاوية بعث به الى آمنة في السجن. وقال للحرسي احفظ ما تتكلم به حتى تؤديه إلي واطرح الرأس في حجرها ففعل هذا . فارتاعت له ساعة ، ثم وضعت يدها على رأسها وقالت : واحزناه : نفيتموه عني طويلًا ، وأهديتموه إلي قتيلًا ، فأهلًا وسهلًا بمن كنت له غير قالية ، وأنا له اليوم غير ناسية ، ارجع به أيها الرسول الى معاوية ، فقل له ولا تطوه دونه : أيتم الله ولدَكَ ، وأوحش منك أهلك ، ولا غفر لك ذنبك .

فاخبره الرسول بما تكلمت ،فأرسل اليها فأتته ،وعنده نفر منهم اياس بن حسل اخو مالك بن حسل ، وكان في شدقيه نتوء عن فيه لعظم كان في لسانه ، وثقل اذا تكلم ، فقال لها معاوية : أأنت يا عدوة الله صاحبة الكلام الذي بلغني ؟ قالت : نعم غير نازعة عنه ، ولا معتذرة منه ، ولا منكرة له ، فلعمري لقد اجتهدت في الدعاء ان نفع الاجتهاد ، وان الحق لمن وراء العباد، وما بلغت شيئاً من جزائك ، وان الله بالنقمة من ورائك . فاعرض عنها معاوية . فقال اياس : اقتل هذه يا امير المؤمنين ، فوالله ما كان زوجها بأحقّ منها بالقتل . فالتفتت اليه فلما رأته ناتىء الشدقين ، ثقيل اللسان قالت : تَباً لك ويلك بين لحيتيك كجثمان الضفدع ، ثم انت تدعوه الى قتلي ، كما قتل زوجي بالأمس، ان تريد إلا ان تكون جباراً في الأرض ، وما تريد ان تكون من المصلحين . فضحك معاوية وقال : لله دركِ اخرجي ، ثم لا اسمع بك في شيء من الشام . قالت : وأبي لأخرجن ، ولا تسمع لي في شيء من الشام ، فما الشام لي بحبيب، ولا اعرج فيه على حميم،

وما هي لي بوطن، ولا احن فيها الى سكن،وما قرت فيها عيني ولقد عظم فيها ذنبي ، وما انا اليك فيها بعائدة ، ولا حيث كنت مجامدة . فاشار ببنانه اخرجي . فخرجت تريد الجزيرة فمرت بحمص فقتلها الطاعون .

جميل بن كعب التغلبي
في اسار معاوية

هو جميل بن كعب التغلبي ، كان من سادات ربيعة ، وشيعة علي عليه السلام وانصاره ، أسره معاوية بعد مقتل الامام ، واستتباب الامر له ، فلما أدخل عليه ، قال : الحمد لله الذي امكنني منك يا جميل . ألست القائل يوم الجمل :

اصبحت الامةُ في امر عجب   والملك مجموع غداً لمن غلب
قد قلت قولا صادقاً غير كذب   إن غداً تهلك اعلام العرب

قال جميل : لا تقل ذلك ، فانها مصيبة . قال معاوية : واي نعمة اكبر من ان يكون الله قد اظفرني برجل قد قتل في ساعة واحدة عدة من حماة اصحابي ، اضربوا عنقه . فقال : اللهم اشهد ان معاوية لم يقتلني فيك ، ولا لأنك ترضى قتلي ، ولكن قتلني على حطام الدنيا ، فان فعل فافعل به ما هو اهله ، وإن لم يفعل فافعل به ما انت اهله . فقال معاوية : قاتلك الله لقد سببت ، فابلغت في السب ، ودعوت ، فبالغت في الدعاء . ثم امر به فاطلق . وتمثل معاوية بأبيات للنعمان بن المنذر :

تعفو الملوك عن الجليل من الأمور بفضلها
ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها
إلا ليعرف فضلها ويخاف شدة نكلها

المختار بن ابي عبيد الثقفي

في سجن الكوفة

هو المختار بن ابي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي . ولد عام الهجرة ، وقتل أبوه في جماعة من المسلمين بحرب القادسية، كنيته ابو اسحاق ، كان أريباً حازماً كثير الطموح عالي الهمة ، وكان فصيحاً يغلب على كلامه السجع ، وكان ينزل الكوفة ، وفي داره نزل مسلم بن عقيل لما ورد الكوفة لأخذ البيعة للحسين عليه السلام ، فبايعه المختار وبذل له النصح ، ولما قتل مسلم بن عقيل قبض عليه ابن زياد وجلده وأودعه السجن ، فشفع به عبد الله بن عمر وكان صهره ، فأطلقه ابن زياد من السجن ، وأمره بالجلاء عن الكوفة فالتحق بالحجاز وانضم الى عبد الله بن الزبير ، وأقام معه الى أن هلك يزيد ، فلما رآه لا يستعمله خرج الى الكوفة فدخلها في النصف من شهر رمضان سنة ٦٤ للهجرة ، وقدم بعده عبد الله ابن يزيد الخطمي من قِبَل ابن الزبير اميراً على الكوفة على حربها وثغرها ، وقدم معه ابراهيم بن محمد بن طلحة اميراً على خراجها .

وقد نصب المختار نفسه زعيماً للثورة ، وللطلب بدم الحسين عليه السلام ، وكان سليمان بن صرد الخزاعي قد خرج بالتوابين

نحو الجزيرة لقتال بني امية .

فجاء عمر بن سعد وشبث بن وبعي ويزيد بن الحارث بن رديم الشيباني لعبد الله بن يزيد الخطمي . وقالوا له : ان المختار أشد عليكم من سليمان بن صرد ، ان سليمان انما خرج يقاتل عدوكم ويذللهم لكم ، وقد خرج عن بلادكم . وإن المختار انما يريد أن يثب عليكم في مصركم فسيروا اليه في الناس ، فأوثقوه في الحديد، وخلدوه في السجن حتى يستقيم أمر الناس ، فخرجوا اليه في الناس فما شعر بشيء حتى احاطوا به بداره ، فاستخرجوه فلما رأى جماعتهم قال : ما بالكم فوالله بعد ما ظفرت اكفكم. وأتى المختار ببغلة دهماء فركبها وانطلقوا به إلى السجن .

قال حميد بن مسلم الأزدي : دخلت على المختار وهو محبوس اتعاهده فسمعته يقول :

أما ورب البحار ، والنخيل والاشجار ، والمهامه والقفار، والملائكة الابرار ، والمصطفين الاخيار ، لأقتلن كل جبار، بكل لدن خطار ، ومهند بتار ، في جموع من الانصار، ليسوا بميل اغمار ، ولا بعزل ، اشرار حتى اذا اقمت عمود، الدين ، ورأبت صدع المسلمين ، وشفيت غليل صدور المؤمنين ، وادركت بثأر النبيين ، لم يكبر عليّ زوال الدنيا ، ولم أحفل بالموت إذا اتى .

وكتب من سجنه الى رفاعة بن شداد حين قدم من عين الوردة ، بعد مقتل اصحابه :

أما بعد فمرحباً بالعصب الذين عظم الله لهم الأجر حين

انصرفوا ، ورضي انصرافهم حين قفلوا . أما ورب البنية التي بنى ما خطا منـــكم خطوة ، ولا رتا رتوة ، إلا كان ثواب الله أعظمَ من ملك الدنيا . ان سليمان قد قضى ما عليه ، وتوفاه الله فجعل روحه مع ارواح الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون ، اني انا الامير المأمور ، والامين المأمون ، وامير الجيش ، وقاتل الجبارين ، والمنتقم من اعداء الدين ، والمقيد من الاوتار . فأعدوا واستعدوا ، وابشروا واستبشروا ، ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله والى الطلب بدماء أهل البيت ، والدفع عن الضعفاء ، وجهاد المحلين والسلام .

وظل على هذه الوتيرة فترة غير قصيرة يكاتب أصحابه من السجن ، حتى إذا اجتمع أمره ، واشتدت شوكته ، وتهيأت الظروف المناسبة للثورة خرج من السجن ، وقام بنهضته بالكوفة ، وكانت امارته على الكوفة ستة عشر شهراً ، وقتل فيها سنة سبع وستين على يد مصعب ابن الزبير .

عبيد الله بن الحر الجعفي

في سجن الكوفة

عبيد الله بن الجعفي من شعراء الدولة الأموية وفرسانها، وكان من صلحاء قومه وخيارهم، وكان من الناقمين على قتلة عثمان، وقد التحق بمعاوية وشهد صفين، ولما قتل الامام عليه السلام قدم الكوفة فأتى اخوانه ومن قد خف في الفتنة فقال لهم: يا هؤلاء، ما أرى أحداً ينفعه اعتزاله، كنا بالشام فكان من أمر معاوية كيت وكيت. فقال له القوم: وكان من أمر علي كيت وكيت. فقال: إن تمكننا الاشياء اخلعوا عذركم، واملكوا أمركم. قالوا: سنلتقي فكانوا يلتقون على ذلك.

وفي ايام يزيد بن معاوية اعتزل الكوفة، ونزل حصن بني مقاتل، وفي هذا الموضع مرّ به الحسين عليه السلام، وطلب منه النصرة فأبى، ولما سمع بمقتل الحسين خرج الى الطف ناقماً على ابن زياد، وراح يندب الحسين بمراث حارة[1] ملؤها الندم

---

[1] - يعتبر عبيدالله بن الحر اول من رثى الحسين عليه السلام ومن أجود مراثيه قوله لما سمع بنعي الحسين:

تبيت النشاوى من أمية نوما وبالطف قتلى لا ينام حميمُها

والحسرة على تركه الحسين ، وعدم نصرته إياه ، ولما هلك يزيد وهرب عبيدالله بن زياد من الكوفة ، قال عبيدالله بن الحر لفتيانه : « قد بان الصبح لذى عينين » فاذا شئتم . فخرج بأصحابه الى المدائن ، فلم يدع مالاً قدم من الجبل إلا اخذه ، ولم يزل على ذلك الحال حتى ظهر المختار ، وبلغه ما يصنع بالسواد ، فأمر بامرأته أم سلمة الجعفية فحبست . وقال : والله لأقتلنه ولأقتلن اصحابه . فلما بلغ ذلك عبيدالله بن الحر اقبل في فتيانه حتى دخل الكوفة ليلًا ، فكسر باب السجن واخرج امرأته وكل امرأة ورجل كان فيه ، وخرج من الكوفة دون مقاومة تذكر ، ثم جعل يعيث بعمال المختار واصحابه ، ولم يزل على هذا الحال الى أن قـُتل المختار ، فقال الناس لمصعب ابن الزبير في ولايته الثانية على الكوفة : ان ابن الحر شاقّ ابن زياد والمختار ، ولا نأمن ان يثب بالسواد ، كما كان يفعل . فحبسه مصعب ، فقال ابن الحر وهو في

وما ضيـع الاسلام، إلا قبيلةٌ تأمر نوكاهـا ودام نعيمهـا
واضحت قناة الدين في كف ظالم إذا اعوج منها جانب لا يقيمها
فأقسمت لا تنفك نفسي حزينةً وعينيَ تبكي لا يجف سجومها
حيـاتيَ أو تلقى اميـةُ خزية يذل لها حتى الممات قرومهـا

ومن أشهر ما قال :

فيا لك حسرةً مـا دمت حيا تردد بـين صدري والتراقِ
لقد فاز الاولى نصروا حسينا وخاب الآخرون أولو النفاقَ
حسين حين يطلب بذل نصري على أهـل الضلالة والشقـاق

سجنه يخاطب فتيانه ويصف لهم حاله :

من مبلغ الفتيان أنّ اخاهمُ أتى دونه باب شديد وحاجبه

بمنزلةٍ ما كان يرضى بمثلها إذا قام غنته كبول تجاوبه

على الساق فوق الكعب أسودُ صامت

شديدٌ يداني خطوَه ويقاربه

وما كان ذا من عظم جرم جنيتُه

ولكن سعى الساعي بما هو كاذبه

وقد كان في الأرض العريضة مسلكٌ

وأي أمرىءٍ ضاقت عليه مذاهبه

وفي الدهر والأيام للمرء عبرةٌ وفي ما مضى ان ناب يوماً نوائبه

ثم شفع اليه جماعة من مذحج عند مصعب بن الزبير فأخرجه من السجن ، ثم ندم على اخراجه ، وأظهر ابن الحر الخلاف وخرج عليه ، فتتبعه مصعب وجدّ معه في الحرب حتى قتله .

يعلى الأزدي

سجن في مكة

هو يعلى الاحول بن مسلم بن ابي قيس ، أحد بني يشكر الأزدي ، من شعراء الدولة الاموية ، ومن اللصوص الفتاكين ، وكان خليعا يجمع صعاليك الأزد وخلعاءهم ، فيغير بهم على احياء العرب ، ويقطع الطريق على السابلة ، فشُكي الى « نافع بن علقمة ابن الحارث الكناني » وهو خال مروان بن الحكم وكان والي مكة في خلافة مروان ، فاخذ به عشيرته الأدنين ، فلم ينفعه ذلك واجتمع اليه شيوخ الحي وعرّفوه انه خليع ، وقد تبرأوا من جرائره الى العرب ، وانه لو أخذ بسائر الازد ما وضع يده في أيديهم ، فلم يقبل ذلك منهم وألزمهم احضاره ، وضم اليهم شُرطا يطلبونه اذا طرق الحي ، فلما اشتد عليهم في امره طلبوه ، حتى وجدوه ، فأتوا به الى نافع فقيده وأودعه السجن ، ولا جرم ان يضيق بهذا السجن ذرعا ، وتطول لياليه ، وتهزه الذكريات فيتطلع الى البيداء ودنيا الصعلكة والمخاطرات فيقول :

أرقت لبرق دونه شدوان
يمان وأهوى البرق كل يمان

فبت لدى البيت الحرام أخيله
ومطواي من شوق له أرقان

جرى منه أطراف الشرى فمشيع
فأبيان فالحيان من ذمران

فمران فالأقباص اقباص أملج
فبما وان من واديها شطئان

هنالك لو طوفتما لوجدتما
صديقاً من اخوان بها وغواني

وعزف الحمام الورق في ظل أيكة
وبالحي ذي الرودين عزف قيان

ألا ليت حاجاتي اللواتي حبسنني
لدى نافعٍ قضين منذ زمان

وما بيَ بغضٌ للبلاد ولا قِلىً
ولكنّ شوقاً في سواه دعاني

فليت القلاصَ الأدم قد وخدتْ بنا
بوادي يمان ذي ربى ومجاني

بواد يمان ينبت السدرَ صدرُه
وأسفله بالمرخ والشيهان

يدافعنا من جانبيه كليهما
عزيفان من طرفائه هذيان

وليت لنا بالجوز واللوز غيلةً
جناها لنا من بطن حلبة جاني

وليت لنا بالديك بكّاء روضة

على فننٍ من بطن حلبة حان

وليت لنا من ماء حزبة شربةً

مبردةً باتت على الطهمان

لم نقف على نهاية هذا الشاعر في سجنه أأطلق من سجنه أم مات فيه رغم تتبعنا الطويل لذلك .

السمهري العكلي

في سجن المدينة

هو السمهري بن بشير بن أقيش بن مالك بن الحارث بن أقيش العكلي ، من شعراء الدولة الأموية ، ومن لصوص العرب الفتّاكين ، وكان هو وبهدل ومروان ابنا قرفة الطائيان مطلوبين من قبل عبد الملك بن مروان في قتل عوف بن جعدة بن هبيرة المخزومي ، وقد جعل على قبضهم الجعالات ، وبث في طلبهم السعاة . أما السمهري فلجأ إلى بلاد غطفان ، وتنكر غاية ما يستطيع ، وأما رفيقاه فتفرقا متنكرين في أطراف الصحراء ، فمر السمهري ذات يوم بنخل لبني فزارة ، فقالت عجوز منهم : أظن والله هذا العكلي. فوثبوا عليه فأخذوه ورفعوه إلى أيوب بن سلمة المخزومي ، فأتى به هشام بن اسمعيل المخزومي عامل عبد الملك بن مروان على المدينة ، فجحد وأبى أن يقرّ فأودعه السجن ، وضيق عليه ، فأيقن أنه غير ناجٍ وجعل يلتمس الخروج من السجن حتى إذا سنحت الفرصة فك إحدى حلقتي قيده ورمى بنفسه من فوق السجن وهرب ، ولما بعد عن البلد كسر الحلقة الثانية وانطلق وما زال يعدو ، وقد دخل الليل وأخفى آثاره

حتى أصبح وقد قطع أرضاً بعيدة ، ثم رجع إلى صحراء «منعج» وفيها منازل عكل ، وكان قد أكثر فيها الجعل فمر بابني قائد بن حبيب من بني أسد فارتابا به فوثبا عليه ، وأوثقاه كتافاً وانطلقا به إلى عثمان بن حيان المري ، وذلك في امارته على المدينة فحبسه وأطال إرهاقه حتى قتله . وللسمهري في هذا السجن قصائد رائقة ، وشعر جميل طافح باوصاف السجن وآلامه ، فمن ذلك قوله من قصيدة يذمّ فيها قومه :

لقد جمع الحداد [1] بين عصابة
تسائل في الاقياد ماذا ذنوبها
بمنزلة أما اللئيم فشامتٌ
بها وكرام الناس باد شحوبها
إذا حرسي قعقع الباب أرعدت
فرائص أقوام وطارت قلوبها
ألا ليتني في غير عكل قبيلتي
ولم أدرِ ما شبان عكل وشيبها
فان يك عكل سرّها ما أصابني
فقد كنت مصبوباً على ما يريبها

وقوله وهو من الشعر الرائع الجميل :

ألا حيّ ليلى إذ ألم لمامُها
وكان مع القوم الأعادي كلامُها

---

١ — الحداد هنا البواب لانه يحد الناس بمنعهم والحد المنع .

تعلل بليلى إنما أنت هامة
من الغد يدنو كل يوم حمامها

وكيف ترجيها وقد حيل دونها
وأقسم أقوام مخوفٌ قسامها

لقد طرقت ليلى وساقي رهينة
فما راعني في السجن إلا لمامها

فلما انتبهت للخيال الذي سرى
إذ الارض قفر قد علاها قتامها

فالا تكن ليلى طوتك فانه
شبيه بليلى حسنها وقوامها

ألا ليتنا نحيا جميعاً بغبطة
وتبلى عظامي حين تبلى عظامها

المرار الفقعسي

في سجن المدينة

هو المرار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نضلة الفقعسي ، من مخضرمي الدولتين ، كان هو واخوه «بدر» لصين ، وكان بدر أشهر منه بالسرقة واكثر غارات على الناس ، فاغار بدر على ذود « لبني غنم ابن دودان » فطردها ، فأخذ ورُفع الى عثمان بن حيان المري وهو يومئذ على المدينة فحبسه ، وطرد «المرار» « طريدة » فاخذ معها ، وهو يبيعها «بوادي القرى» فرفع الى عثمان بن حيان كذلك فحبسه ، فاجتمع الاخوان في السجن والمرار كشاعر نشأ في وسط أعرابي ، وانطبع قلبه على أديمه وهوائه ، فلا جرم ان يضيق ذرعاً بهذا السجن ويجتويه وتهزه علائق النشأة والوسط فيقول :

انار بـدت من كوة السجن ضوءها
عشيةَ حـلّ الحي في الجزع العفر
عشيةَ حـــل الحي ارضاً خصيبـة
يطيب بهـــا مس الجنائب والقطر

فيا ويلتا سجن اليمامة اطلقا
أسيركما ينظر الى البرق ما يفري
فان تفعلا احمدكما ولقد أرى
بأنكما لا ينبغي لكما شكري
ولو فارقَتْ رجلي القيود وجدتني
رفيقاً بنص العيس في البلد القفر
جديراً اذا امسي بأرض مضلة
بتقويمها حتى يُرى وضح الفجر

ثم افلت المرار من السجن وبقي اخوه بدر الى أن مات فيه .

عبدالله بن الزبير الأسدي

في سجن قرقيسيا [1]

هو عبدالله بن الزبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة بن قيس ابن منقذ الأسدي ، كوفي المنشأ والمنزل ، من شعراء الدولة الأموية وكان من شيعة بني أمية ومتابعيهم ، فظفر به زفر [2] بن الحارث الكلابي أمير قرقيسيا من قبل ابن الزبير ، وهو سائر من الشام الى الكوفة ، فاخذه وقيده واودعه السجن وكان معه رفيق من بني أمية يقال له ابو الحدراء ، فتركه وهرب ولم يظفر به زفر ،

---

١ – قرقيسيا بلد على نهر الخابور وعندها مصب الخابور في الفرات ، قيل سميت باسم قرقيسيا بن طهمورث الملك .

٢ – زفر بن الحارث الكلابي من الامراء المشهورين في الدولة الاموية ، وأحد شعراء الحماسة المجيدين وهو القائل يوم وقعة (مرج راهط) من قصيدة :

أريني سلاحي لا ابا لـك انني ... أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا
أتذهب كلب لم تنلها رماحنـا ... وتترك قتلى راهط هي ماهيـا
لعمري لقد أبقت وقيعة راهط ... لحسان صدعا بيننا متنائيـا
أبعد ابن عمرو وأبن معن تتابعا ... ومقتل همام أمنى الأمانيـا

فقال في ذلك عبدالله من السجن :

اغادٍ ابو الحدراء أم متروحُ　　كذاك النوى مما تجد وتمزح
لعمري لقد كانت بلاد عريضة　　لي الرَوح فيها عنك والمتسرح
ولكنه يدنو البغيض ويبعد الحبيب　　وينأى في المزار وينزح
ألا ليت شعري هل أتى أم ّواصل　　كبولٌ اعضوها بساقي تجرح
إذا ما صرفت الكعب صاحت كأنها　　صريف خطاطيف بدلوين تمتح
تبغّي اباها في الزمان وتنثني　　وألوى بـه في لجة البحر تمسح
أمر تحل وفدُ العراق وغودرت　　تحن بأبواب المـدينة صيدح
فانـك لا تدرين فيا أصابني　　أريثك أم تعجيل مسراك انجح
أظن أبو الحدراء سجني تجارة　　تُـرجى وما كل التجارة تنجح

ومكث في سجنه اياماً ثم تكلمت مع زفر جماعة من مضر في شأنه فأطلقه وخلى سبيله .

الحكم بن عبدل

في سجن الكوفة

هو الحكم بن عبدل الأسدي ، موطنه الكوفة ، كان اعرج احدب لا تفارقه عصاه ، وانقطع إلى بشر بن مروان ، وكان يأنس به ويحبه وأخرجه معه لما ولي البصرة ، فلما مات بشر جزع عليه الحكم ورثاه بأبيات ، وكان يذهب إلى الملوك والخلفاء بشعره حتى كبر فترك الوقوف على أبواب الملوك ، وإنما كان يكتب حاجته على عصاه [1] ويبعث بها مع الرسول فلا يرد رسوله ولا تؤخر حاجته . وكان له صديق اعمى يقال له«ابو علية»فخرجا ليلة من منزلهما الى بعض اخوانهما ، والحكم يحمل لأنه مقعد ،

---

١ - وفي عصا الحكم هذه يقول يحيى بن نوفل :

عصا حكمٍ في الدار اولُ داخلٍ
ونحن على الابواب نُقصى ونحجب
وكانت عصا موسى لفرعون آية
وهذي لعمرُ الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها
ويرغب في المرضاة منها ويرهب

وابو علية يقاد لأنه اعمى ، فلقيهما صـــاحب العسس بالكوفة فأخذهما فحبسهما ، فلما استقرا في السجن نظر الحكم إلى عصا ابي علية موضوعة الى جانب عصاه فضحك وقال :

حبسي وحبس أبي علية من أعاجيب الزمان
أعمى يقاد ومقعد لا الرجل منه ولا اليدان
هذا بـــلا بصر هناك وبي يخب الحاملان
يا من رأى ضب الفلاة قرينَ حوت في مكان
طرفي وطرف ابي عليـة دهرنا متوافقان
من يفتخر بجيـــاده فجيـــادنا عكازتان

وكان اسم ابي عليـــة يحيى فقال الحكم فيه ، وفي تصوير حالتيهما من السجن :

اقول ليحيى ليلةَ الحبس سادراً ونومي به نومُ الأسير المقيدِ
أعنّي على رعي النجوم ولحظها أعنْك على تحبير شعر مقصد
ففي حالتينا عبرة وتفكر واعجب شيء حبس أعمى ومقعد
كلانا اذا العكاز فارق كفه ينيخ صريعاً أو على الوجه يسجد
فعكازه تهدي الى السبل أكمهاً
واخرى مقام الرجل قامت مع اليد

وانفلق عمود الصباح فخلي سبيلهما بعد أن قضيا ليلة شاعرية في السجن .

مصعب السلولي

في سجن تبالة [1] :

هو مصعب بن عمرو السلولي أحد الشعراء المجيدين في الدولة الأموية . كان له أخ يقال له مزاحم ، وكان مزاحم يأتي امرأة (ابن الدمينة [2]) الشاعر الغزل المعروف ، فبلغ ذلك ابن الدمينة فرصده حتى اذا اتاها ليلا قام اليه ابن الدمينة فقتله ، ثم قتل امرأته بعد ذلك ، فاستعدى عليه أهل مزاحم احمد بن اسمعيل ،

---

١ – تبالة : بلدة مشهورة من أرض تهامة ، بينها وبين مكة نحو مسيرة ثمانية أيام ، وبينها وبين الطائف ستة أيام ، وفيها ضرب المثل : « أهون من تبالة على الحجاج » . وصببه ان الحجاج اول ما استعمل عليها ، فلما قاربها سأل الدليل عنها فقال له : ما يسترك عنها الا هذه الاكمة . فقال الحجاج : لا أراني اميراً على موضع تستره عني هذه الاكمة، أهون بها ولاية . وكر راجعاً ولم يدخلها . فقيل هذا المثل .

٢ – ابن الدمينة : هو عبدالله بن عبدالله الخثعمي، كنيته ابو السري . والدمينة أمه . كان من الشعراء المجيدين ، وهو أحد العشاق الذين وقفوا شعرهم على النسيب والغرام وهو القائل من قصيدة :

فلا تتركي نفسي شعاعاً فانها من الوجد قد كادت عليك تذوب

واني لاستحييك حتى كأنما علـيّ بظهر الغيب منك رقيب

فحبسه واطال حبسه ولما لم يجد عليه حجة ولا سبيلاً خلاه .

ثم أقبل ابن الدمينة حاجاً بعد مدة طويلة ، فنزل بتبالة ، فكمن له مصعب بن عمرو ، حتى إذا حاذاه قام اليه فعلاه بسيفه فقتله ، فأخذه الناس إلى السلطان فقيده وأودعه السجن ، فبلغه ان قوم ابن الدمينة يريدون أن يقتحموا عليه السجن فيقتلوه غيلة ، فجزع لذلك فقال يحرض قومه ويستنهضهم لحمايته :

لقيت أبا السري وقد تغالى ... له حـق العداوة في فؤادي
فكاد الغيظ يفرطني إليـــه ... بطعن دونـه طعن السداد
اذا نبحت كلاب السجن حولي ... طمعت هشاشة وهفا فؤادي
طماعة أن يـدق السجن قومي ... وخوفاً أن يبيّتني الأعادي
فما ظني بقومي شر ظن ... ولا أن يسلموني في البـلاد
وقـد جدلت قاتلهم فأمسى ... يمـج دم الوتين على الوساد

فجاءت اليه بنو عقيل ليلاً فكسروا السجن وأخرجوه منه ، فلما أفلت من سجنه هرب إلى صنعاء .

ابن الطثرية

في سجن العقيق [1]

هو يزيد بن المنتشر أحد بني عمرو بن سلمة بن قشير ، والطثرية امه . كان غزلاً محباً للنساء ، وكان جميلًا ظريفاً ، وكان له أخ يقال له ثور ، وكان رجلًا سيداً كثير المال والنخل ، متنسكاً كثير الحج والصدقة ، وكان يزيد رجلًا متلافاً يغشاه الدّين ، فاذا اخذ به قضاه عنه أخوه ثور ، ثم انه كثر عليه دين لمولى عقبة بن شريك الحرشي ، وكان يقال له البربري ، فأخذه به عقبة بن شريك فحبسه بالعقيق من بلاد بني عقيل ، وعقبة عليها يومئذ أمير ، فقال ابن الطثرية في ذلك من السجن :

قضى غرمائي حبّ اسماء بعدما تجردت من مطل لهم وغرور

---

١ — العقيق في اللغة الوادي وفي بلاد العرب أربعة أعقة ، والمعنى هنا هو عقيق اليمامة لبني عقيل فيه قرى ونخل كثير ، ويقال له عقيق تمرة ، وما أكثر ما جاء ذكره في الشعر ، قال علي بن الجهم :

هـــذا العقيق فعـدي أيدي العيس عن غلوائها
وإذا نزلت ببئر عروة فاسقني مـن مائهـا
انـّا وحقك ما ذممنا العيش في أفنائهـا

فلو قلّ دين البربري قضيته ولكن دين البربري كثير
وكنت إذا حلت عليّ ديونهم أضمّ جناحي منهم فأطير
علي لهم في كل شهر أديـة ثمانون واف نقدها وجزور
نحنّ إلى ثور ففيم رحيلنا وثور علينا في الحياة صبور
أشد على ثور وثور اذا رأى بنا خلة جزل العطاء غفور
فذلك دأبي مامشيت ومامشى لثور على ظهر البلاد بعير

ثم اجتهد حتى تخلص من السجن بحيلة ، فعمد إلى نجيب لقيه فركبه ومضى به إلى عقبة بن شريك ، وكان آنذاك في اليمامة فمدحه يزيد بقصيدة [1] من أجود الشعر فعفا عنه عقبة بن شريك، وأبرأه من دينه ووهب له النجيب وحكمه في ماله .

---

١ – ذكر الدكتور طه حسين ، في كتابه حديث الاربعاء ج ١ ص٣٥٦ بعض أبيات من قصيدته التى امتدح بها عقبة بن شريك واليك منها :

ومدله عند التبدل يفتدي منهـا الوشاح مخصراً أملودا
نازعتها غنم الصبا ان الصبا قد كان مني للكواكب عيدا
يا للرجال، وإنما يشكو الفتى مر الحوادث أو يكون جليدا
بكرت نوار تجد باقية القوى يوم الفراق وتخلف الموعـودا
ولرب أمرِ هوى يكون ندامة وسبيل مكرهة يكون رشيدا

سراقة البارقي

في سجن الكوفة

هو سراقة بن مرداس الازدي البارقي من شعراء أهل العراق وظرفائهم ، وله مع جرير بن عطية الخطفي مهاجاة ، مات في حدود ثمانين من الهجرة ، وكان سراقة قد خرج على المختار فأخذ أسيراً يوم جبانة السبيع فسجن ، ثم قدم في الأسرى الى المختار فقال :

امنن علي اليوم يا خير معدْ   وخيرَ من لبى وصلى وسجد

فعفا عنه المختار وخلى سبيله ثم خرج مع اسحاق بن الاشعث فأتى به المختار أسيراً ، فقال له : ألم أعف عنك وأمنن عليك ، أما والله لاقتلنك . قال: لا والله لا تفعل إن شاء . قال : ولم ؟ قال : لأن أبي أخبرني انك تفتح الشام حتى تهدم مدينه دمشق حجراً حجراً وأنا معك . ثم قال :

ألا ابلغ أبا اسحاق انا   حملنا حملة كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاءَ منا   وكان خروجنا بطراً ومينا
نراهم في مصافهم قليلًا   وهم مثل الدبا لما التقينا
فاسجح إذ قدرت فلو قدرنا   لجرنا في الحكومة واعتدينا

تقبّل توبة مني فاني سأشكر إن جعلت النقد دينا

فخلى سبيله ، ثم خرج مع اسحاق بن الاشعث فاخذ أسيراً وأتى به المختار . فقال : الحمد لله الذي مكنني منك يا عدو الله هذه ثالثة . فقال سراقة : أما والله ما هؤلاء الذين أخذوني فأين هم لا أراهم ؟ إنا لما التقينا رأينا قوماً عليهم ثياب بيض ، وتحتهم خيل بلق تطير بين السماء والارض . فقال المختار : دعوه ليخبر الناس [1] .

---

[1] – لم يكف سراقة بعد هذه المرة حين تخلص من المختار ولم ينته من التعرض لسلطانه ، بل تحداه في المرة الرابعة ودعا لقتاله وقال :

ألا من مبلغ النعمان عني بأن البلق دهم مضمرات

أرى عينيّ ما لم ترأياه كلانا عالم بالترهات

كفرت بوحيكم وجعلت نذراً

عليّ قتالكم حتى الممات

دراج الضبابي
في سجن دمشق

هو دراج بن زرعة بن قطن بن الاعرف الضبابي ، وصاحب الافاعيل يوم هراميت ، وهراميت آبار مجتمعة بناحية الدهناء ، وفيها وقعت الحرب بين بني جعفر وبين الضباب [1] ، وسببها ان الجليح بن شديد الجعفري نزل في بئر بناحية هراميت ليحتفرها ، فنزل عليه الاسود ابن شقيق الضبابي فمنعه من حفرها فانحدرا في البئر فضربه الأسود على أذنه فخذمها [2] ، وشجه شجة واجتمع الناس برأس البئر فانزلوا عليهما الرجال حتى خلصوا بينهما ، فقالت الضباب : دونكم صاحبنا فاقتصوا وخذوا ثأر جراحة صاحبكم . فقالت بنو جعفر — وفيهم بذخ [3] شديد — : لا نأخذ حقنا إلا عنوة . فانصرف القوم وكل محتمل على صاحبه ، فقال رجل من بني جعفر : يا جليح أنت اليوم جليح ، وغداً المخذوم فشحذ بني جعفر وأحمشهم . وكانوا مع الضباب في محلة واحدة ثم التقوا على

---

١ — بنو جعفر : هم أبناء جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، والضباب هم أبناء معاوية بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صلصعة .

٢ — خذمها : قطعها .

٣ — البذخ : الكبر .

هراميت فقتلوه ، ثم تحاجزوا واحتمل الحيان ، فتفرقوا بعد الألفة، واستمرت الحرب بين الجعفريين والضباب مدة قتل فيها كثير من الحيين، إلى أن قدم الحجاج المدينة بعد قتل ابن الزبير واجتماع الناس على عبد الملك بن مروان . فوجه الحجاج اليهم عثمان بن عبد الله بن سراقة القرشي أحد بني عدي بن كعب ، فلما قدم عليهم جمع الفريقين ثم نادى من جاء بحزمة حطب فله حمل بعير ، فجيء اليه بحطب كثير فنضد بعضه إلى بعض حولهم، ثم أشعل فيه النار فلما لحقت القوم وظنوا انه الموت ، نادى من أطفأها فله حمل بعير ، فاطفأها الناس فاخرجهم وقد كادوا يحترقون ، ثم دعا بالصخر ليحطم ادراعهم ، فضجوا اليه فقال: أتعودون لأمر الجاهلية أبداً ؟ فقالوا : لا نعود بعد اليوم . فضمن الضبابيون للجعفريين ما يطلبونه ، وأخذ دراج بن زرعة الضبابي ، وكان صاحب الافاعيل في هراميت ، فوجه به إلى عبد الملك فزجه في السجن ثم أمر بقتله ، فلما علم دراج بذلك تهيج وراح يندب أيامه الراحلة ويشيد بوقائعه وأفعاله في هراميت ، ويحرض قومه على قتال الجعفريين وذلك في قوله من قصيدة :

ألا ياغراب البين اسمعت فاربعْ ... وطر بالذي قد حم ويحك أوقعْ
فطار بتحقيق وجدت بعبرة ... أتاها رشاش العين من كل مدمع
فليس لياليـنا بطخفة والحمى ... بمرتجعات فابك شجوك أو دع
إذا أمّ سرياح غدت في ظعائن ... حوابس نجداً فاضت العين تدمع
فبلغ بني عمروٍ سلاماً ورحمة ... بآيات شداتي إذا الخيل تقدع
بآية إني لم أكن قد علمتم ... أهلل عن ضرب الكمي المقنع

فقد كنت أعطيكم طريفي وتالدي
وأدفع عـــن أحسابكم كل مدفعْ
فلا تخشعوا للقوم من خشية الردى
لكل امرىء يوماً حمـام ومصرع
وإني لأخشى من رجـال تركتهم
ورائيَ أن يعطوا الذي كنت أمنع
فان يـــك ظني بالحجازي صادقـاً
يقاتلهـــم فرداً ولا يتخشـــع
ويسقيهم كأساً من الموت مــــرة
كما قـــد سقوها مثلهـــا فتضلع
ولمـا دخلت السجن أيقنت أنــــه
هو البين لا بـــين النوى ثم يجمع
ومـا السوط أبكاني ولا السجن شفني
ولكنني من رهبـة الموت أجزع

جحدر العكلي

في سجن دوار [1]

جحدر العكلي نسبة الى أمَة يقال لها عكل حضنت الحارث وجشم وسعداً وعلياً أبناء عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناة بن أد بن طابخة ، فغلبت عليهم ، وكان لصاً يقطع الطريق وحده ، وينهب الاموال ما بين « حجر واليمامة » ، فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف الثقفي ، فبعث إلى عامله على اليمامة وهو ابراهيم بن عربي يوبّخه على تلاعب جحدر ، فاحتال ابراهيم حتى قبض على جحدر وأودعه سجن دوار . وقد التقفته الاحوال المرهقة التي اتسم بها هذا السجن ، ولنستمع اليه وهو يصف هذا السجن ويستعرض أوضاعه :

إني دعوتــــك يا إله محمدٍ دعوى فأوَلها ليَ استغفارُ
لتجيرني من شرّ ما أنا خائف ربّ البرية ليس مثلك جار
تَـقضي ولا يُقضى عليك وإنما ربي بعلمك تَـنزلُ الأقدار
كانت منازلنا التي كنّا بها شتى فألّـف بيننـــا دوّار

---

١ – دوار : – سجن اليمامة – ذكره بعض الشعراء .

سجنٌ يُلاقي أهله من خوفه أزلاً [1] ويمنع عنهم الزوّار
يغشون مقطرةً [2] كأنّ عمودها عنق [3] تعرق لحمها الجزّار

ثم أخرجه ابن عربي من سجنه ، وارسله إلى الحجاج مكبلا بالحديد ، ولما قدم على الحجاج قال له : أنت جحدر ؟ قال نعم . قال ما حملك على ما بلغني عنك ؟ قال : جراءة الجنان ، وجفوة السلطان ، وكلب الزمان . قال : وما الذي جرى منك فجرّأ جنانك ؟ قال لو بلاني الأمير لوجدني من صالح الاعوان ، وبُهم الفرسان . قال الحجاج : إنا قاذفوك في قبة فيها أسد ، فان قتلك كفانا مئونتك ، وإن قتلته خليناك ووصلناك . قال : قد أعطيت أصلحك الله الأمنية ، وأعظمت المنة ، وقربت المحنة ! فأمر به فاستوثق منه بالحديد والقي في السجن ، فقال جحدر لبعض من يخرج إلى اليمامة : تحمل عني شعراً . ثم أنشأ يقول :

تأوّبني [4] فبت لها كنيعاً [5] همومٌ ما تفارقني حوان [6]
هي العوّاد لا عوّاد قومي أطلنَ عيادتي في ذي المكان
إذا ما قلت قد أجلينَ عني ثنى ريعانهن عليّ ثاني

---

١ — الازل : الضيق .
٢ — المقطرة : خشبة ذات خروق توضع بها أرجل المسجونين على سطر واحد كقطار الابل .
٣ — عنق : جمع عناق كأعنق انثى المعز .
٤ — تأوبني : أتاني ليلا .
٥ — كنيعاً من كنع الرجل اذا خضع ولان .
٦ — حوان جمع حانية من الانحناء .

وكان مقرّ منزلهن قلبي فقد انفهنه والهم آن [1]
أليس الله يعلم أنّ قلبي يحبك أيها البرق اليماني
وأهوى إن أردّ اليك طرفي على عدواء من شغل وشان [2]
نظرت وناقتاي على تعادٍ مطاوعة الأزمة ترحلان
إلى ناريهما وهما بعيد تشوقان المحب وتوقدان
ومما هاجني وازددت شوقاً بكاءُ حمامتين تجاوبان
فكانْ البانُ ان بانت سليمى وفي الغرب اغتراب غيرُ دان
أليس الله يجمع امّ عمروٍ وأيانا فذاك لنا تدان
نعمْ وأرى الهلال كما تراه ويعلوها النهار كما علاني
فما بين التفرق غيرُ سبعٍ بقين من المحرم أو ثمان
فيا اخويّ من جشمٍ بن سعد أقلاّ اللوم إن لم تنفعاني
إذا جاوزتما سعفات حجر وأندية اليمامة فانعياني
إلى قومٍ إذا سمعوا بنعيي بكى شبانهم وبكى الغواني
وقولا جحدر أمسى رهيناً يحاذر وقع مصقولٍ يماني
يحاذر صولة الحجاج ظلماً وما الحجّاج ظلاّماً لجان
ألم ترني عديت أخاً حروب إذا لم أجن كنت مجن جان
فإن أهلكْ فربّ فتى سيبكي عليّ مهذّب رخص البنان
ولم أكُ قد قضيت ديون نفسي ولا حق المهنّد والسنان

ثم إن الحجاج أرسل إلى عامله « بكسكر » أن يوجه اليه

---

١ – انفهنه : أتعبنه . آن : بلغ منتهى الحرارة للماء .
٢ – العدواء : المكان الذي لا يطمئن من قعد عليه ، وعدواء الشغل صوانعه .

بأسد ضار يجر على عجل ، فأرسل به اليه ، فلما ورد الأسد على الحجاج أمر به فجعل في حائر واجيع ثلاثا ، ثم بعث إلى جحدر فأخرج من سجنه ، ثم غلت يداه إلى عنقه واعطي سيفاً ، والحجاج وجلساؤه في منظرة لهم ، فلما نظر جحدر إلى الأسد قال :

ليثٌ وليث في مجال ضنكِ كلاهما ذو أنف ومحكِ
وصولة في نفسه وفتك أن يكشف الله قناع الشك
وظفراً بجؤجؤ وبرك فهو أحق منزل بترك
الذئب يعوي والغراب يبكي

حتى إذا كان منه على قدر رمح تمطى الأسد وزأر ، وحمل عليه فتلقاه جحدر بالسيف ، فضرب هامته ففلقها وسقط الأسد كأنه خيمة قوضتها الريح ، وسقط جحدر من شدة الضربة وموضع الكبول ، فكبّر الحجاجُ وكبر الناس ، ثم أمر به ففكت قيوده ، فقال الحجاج يا جحدر أن أحببتَ ان ألحقك ببلادك وأحسن صحبتك وجائزتك فعلت ، وان أحببت أن تقيم عندنا أقمت وعلينا فريضتك. قال: اختار صحبة الامير. ففرض له ولجماعة من أهل بيته .

الغضبان بن القبعثري الشيباني

في سجن واسط [1]

الغضبان بن القبعثري الشيباني ، من أشراف أهل العراق ، ومن دعاة المروانية أيام حرب عبد الملك بن مروان مع مصعب ابن الزبير ، ولما أراد الحجاج ارساله الى ابن الاشعث ، قال له : يا غضبان اني موجهك الى ابن الاشعث وافداً عليه ، فماذا أنت قائل له؟ قال: أصلح الله الأمير ، أقول ما يرديه ويؤذيه ويضنيه. قال : أظنك لا تقول له ما قلت ، وكأني بصوتك يجلجل في قصري هذا . قال: كلا أصلح الله الأمير سأحدد له لساني وأجريه في ميداني . فعند ذلك أمره بالمسير إلى « كرمان » ، فلما قدم الغضبان على ابن الاشعث بعث الحجاج عيناً عليه ، وكان يفعل ذلك مع جميع رسله ، فلما قدم الغضبان على ابن الاشعث قال له: إن الحجاج قد همّ بخلعك وعزلك ، فخذ حذرك ، وتغد به قبل أن يتعشى بك . فأخذ حذره عند ذلك ، ثم أمر للغضبان بجوائز

---

١ – واسط : بلدة بناها الحجاج ، وسميت واسطاً لتوسطها بين البصرة والكوفة ، قال صاحب معجم البلدان : ورأيت واسطاً فوجدتها بلدة عظيمة ذات رساتيق وقرى كثيرة ، وبساتين ونخيلها يفوت الحصر .

وخلع ، فأخذها وانصرف راجعا ، فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلّغه الجاسوس مـا جرى بينه وبين ابن الاشعث ، قال له الحجاج : ألست صاحب الكلمة التي بلغني انك قلتها لابن الاشعث : « تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك » فوالله لاحبسنك عن الوساد، ولأنزلنك عن الجياد ، ولأشهرنك في البلاد . قال : الأمان أيها الأمير فوالله ما ضرّت من قيلت فيه ، ولا نفعت من قيلت له . فقال الحجاج : أجل ولكن أتراك تنجو مني بهذا ، والله لأقطعن يديك ورجليك ، وأضربن بلسانك عينيك .

قال الغضبان : أصلح الله الأمير قد آذاني الحديد ، وأوهن ساقي القيود ، فما يخاف من عدلك البريء ، ولا يقطـع من رجائك المسيء . قال الحجاج : انك لسمين . قال الغضبان : القيد والرقعة ، ومن يك ضيف الأمير يسمن . قال : انا حاملوك على الادهم . قال الغضبان : مثل الأمـير أصلحه الله يحمل على الادهم والاشقر . قال الحجاج : انه لحديد . قال الغضبان : لأن يكون حديداً خيرٌ من أن يكون بليداً . قال الحجاج اذهبوا به إلى السجن [1] . وكان قد قيد فقال الغضبان : فلا يستطيعون توصيته ولا الى أهلهم يرجعون . فذهبوا به الى السجن ، فمكث فيه الى أن بنى الحجاج خضراء واسط ، فقال لجلسائه : كيف

---

١ – كان سجن الحجاج بواسط كالبريـة لا سقف له ، وقد أحصي من مات فيه من الجفاف والحر والبرد فكان ستة عشر الفاً ، ووجـد في سجنه خمسون الف رجل ، وثلاثون الف امرأة ، وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد .

ترون هذه القبة ؟ قالوا : ما رأينا مثلها قط . قال الحجاج : أما ان لها عيبا فما هو ؟ قالوا : ما نرى بها عيبا . قال : سأبعث الى من يخبرني به . فبعث الى الغضبان فأحضره . وقال له : كيف ترى قبتي هذه وبناءها ؟ قال : أصلح الله الأمير ، بنيتها في غير بلدك ، لا لك ولا لولدك ، لا تدوم لك ، ولا يسكنها وارثك ، ولا تبقى لك وما أنت لها بباق . فقال الحجاج : صدقت ردوه الى السجن . فقال الغضبان : أصلح الله الأمير ، قد أكلني الحديد ، وأوهن ساقي القيود وما أطيق . قال : احملوه . فلما حمل على الايدي قال : سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . قال : انزلوه . قال : رب أنزلني منزلاً مباركا وأنت خير المنزلين . قال : جروه . قال الغضبان وهو يجر : بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم . قال الحجاج : اضربوا به الأرض . فقال : منها خلقناكم واليها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى . فقال الحجاج : ويلكم اتركوه فقد غلبني دهاءً وخبثا ، ثم عفا عنه ، وأنعم عليه ، وخلى سبيله .

ابن القرية

في سجن واسط

هو أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة الهلالي. أحد بلغاء الدهر، خطيب يضرب به المثل يقال « أبلغ من ابن القرّية» والقرية امّه. كان أعرابياً أمياً يتردد إلى « عين التمر » – غربي الكوفه –، فاتصل بالحجاج، فاعجب بحسن منطقه، فاوفده الى عبد الملك ابن مروان.

ولما خلع ابن الاشعث الطاعة بسجستان بعثه الحجاج اليه رسولاً، فالتحق به وشهد معه وقعة « دير الجماجم » بظاهر الكوفة فلما انهزم ابن الاشعث سيق ابن القرية الى الحجاج أسيراً فسجن، ثم قدم اليه، فلما رآه قال له: يا ابن القرية ما أعددت لهذا الموقف؟ قال: أصلح الله الامير ثلاثة حروف كأنهن ركب وقوف: دنيا، وآخرة، ومعروف. قال له: اخرج مما قلت. قال: افعل:

أما الدنيا فمال حاضر، يأكل منه البرّ والفاجر، وأما الآخرة فميزان عادل، ومشهد ليس فيه باطل. وأما المعروف، فان كان عليّ اعترفت، وإن كان لي اغترفت.

قال الحجاج : أماّ لي فاعترف بالسيف اذا وقع بك .

قال ابن القرية : أصلح الله الامير ، أقلني عثرتي ، واسقني ريقي ، فانه لا بد للجواد من كبوة ، وللسيف من نبوة ، وللحليم من صبوة . قال الحجاج : كلا والله لأرينّك . قال : فأرحني فإني أجد حرها . ثم قدم فضربت عنقه ، فلما رآه الحجاج يتشحط في دمه قال : لو كنا تركنا ابن القرية حتى نسمع من كلامه .

كميل بن زياد النخعي

في سجن واسط

هو كميل بن زياد بن بهيل بن هيثم بن سعد بن مالك النخعي : كان من اصحاب علي عليه السلام وشيعته وخاصته . وكان قد استعمله عليّ « ع » على « هيت [1] » فكان ضعيفاً تمر عليه سرايا معاوية تنهب اطراف العراق فلا يردها ، ويحاول ان يجبر ما عنده من الضعف بان يغير على اطراف اعمال معاوية مثل قرقيسيا ، وما يجري مجراها من القرى الواقعة على الفرات ، حتى انكر عليه السلام ذلك من عمله . واخذ عليه تلك التصرفات

---

١ – هيت بالكسر : بلدة من اعمال العراق واقعة على الفرات . ذات نخيل كثير وخيرات واسعة ، وهي مجاورة للبرية قال ابن السكيت سميت هيت – هيت لانها في هوة من الارض ، وقال رؤبة « في ظلمات تحتهن هيت » وهي من فتوح سعد بن ابي وقاص الزهري انفذ اليها جيشاً سنة ١٦ ، وامتد هذا الجيش فواقع اهل قرقيسيا ، وفي ذلك يقول عمرو بن مالك الزهري :

تطاولت ايامي بهيت فلم احم
وسرت الى قرقيسيا سير حازم

في كتاب هام كتبه اليه [1]

هذه هي الصورة القلقة التي يرسمها التاريخ لكميل بن زياد من الناحية السياسية ، إلا انه من الناحية الأدبية يرفعه الى القمة ، فيصوره شخصيةً فذة في مقام الخصومات والمبادهات . وحسبنا منه في ذلك ، موقفه الخطير من الحجاج ، وقد أتي بـه اليه من السجن بعد ان اخذ أسيراً في موقعة « دير الجاجم » ، وكان ممن خرج مـع ابن الاشعث على الحجـاج ، فلما رآه الحجاج قال له : انت المقتص من أمير المؤمنين عثمان ؟ قد كنت أحب ان اجد عليك سبيلا .

فقال كميل :

والله ما أدري على أينا أنت اشد غضباً ؟ عليه حين أفاد من نفسه ، أم عليّ حين عفوت عنه . ثم قال : أيها الرجل من ثقيف لا تهدم عليّ تهدم الكثيب ، ولا تكشر كشران الذئب ، والله

---

١ – نثبت هنا كتابه عليه السلام الى كميل بن زياد ليقف القارىء على جملة الوجوه التي يرمي اليها كتابه ، واليك صورة هذا الكتاب :

« اما بعد فان تضييع المرء ما ولي ، وتكلفه ما كفي ، لعجز حـاضر ورأي متبر ، وان تعاطيك الغارة على اهل قرقيسيا وتعطيلك مسالحك التي وليناك ، ليس لها من يمنعها ، ولا يرد الجيش عنهـا ، لرأي شعاع فقد صرت جسراً لمن اراد الغارة من اعدائك على اوليائك ، غير شديـد المنكب ، ولا مهيب الجانب ، ولا ساد ثغرة ، ولا كاسر لعدو شوكة ، ولا مغن عن أهل مصره ولا مجز عن اميره . »

ما بقي من عمري إلا ظمء[1] الحمار ، فانه يشرب غـدوة ويموت عشية ، ويشرب عشية ويموت غدوة ، اقض ما انت قاض ، فان الموعد الله وبعد القتل الحساب .

قال الحجاج : فان الحجة عليك . قال : لو كان القضاء اليك . قال : بـلى كنت ممن قتل عثمان ، وخلعت أمـير المؤمنين ، اقتلوه . فقـُدم فقتل .

---

١ — الظمء بالكسر ما بين الشربتين والوردين وما بين سقوط الولد الى حين موته . فيقال ظمء حياته اي من ميلاده الى حين موته ، وما بقي منه الا ظمء الحمار أي يسير لانه ليس شيء أقصر ظمأ منه .

سعيد بن جبير

في سجن واسط

هو سعيد بن جبير ، كنيته ابو محمد ، أصله الكوفة . تابعي نزل مكة كان يأتم بعلي بن الحسين (ع) وكان علي يثني عليه ، وكان ممن خرج مع ابن الاشعث على الحجاج ، فلما انهزم ابن الاشعث بعد وقعة «دير الجماجم» أتى بسعيد اسيراً فزج في السجن مع الاسرى ، ثم قدم الى الحجاج فلما رآه قال له : ما اسمك ؟ قال:سعيد. قال:ابن من ؟ قال:جبير . قال : بل انت شقي ابن كسير . قال سعيد : أمي أعلم باسمي واسم ابي . قال الحجاج : شقيت وشقيت امك . قال : الغيب يعلمه غيرك. قال الحجاج : لأردنك حياض الموت . قال : أصابت اذن امي اسمي . فقال الحجاج : لابدلنك بالدنيا ناراً تلظى . قال سعيد : ولو أعلم أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهـاً . قال الحجاج : فما قولك في محمد ؟ قال سعيد : نبي الرحمة ورسول رب العالمين الى الناس كافـة بالموعظة الحسنة . فقال الحجاج : فما قولك في الخلفاء ؟ قال سعيد: لست عليهم بوكيل ، كل امرىء بما كسب رهين . قال الحجاج : اشتمهم أم أمدحهم؟ قال سعيد: لا أقول ما لا أعلم، إنما استحفظ

امر نفسي . قال الحجاج: أيهم أعجب اليك ؟ قال: حالاتهم بفضل بعضهم على بعض . قال الحجاج : صف لي علياً أفي الجنة هو أم في النار ؟ قال سعيد : لو دخلت الجنـة فرأيت اهلها علمت ، ولو رأيت من في النار علمت ، فما سؤالك عن غيب قد حفظ بالحجاب؟ قال الحجاج : فأي رجل انا يوم القيامة ؟ قال سعيد : أنا اهون على الله من أن يطلعني على الغيب. قال الحجاج: ابيت ان تصدقني. قال سعيد : بل لم أود أن اكذبك . فقال الحجاج : فدع عنك هذا كله اخبرني مالك لم تضحك قط ؟ قال: لم أر شيئاً يضحكني ، وكيف يضحك مخلوق من طين ، والطين تأكله النار ، ومنقلبه الى الجزاء ، واليوم يصبح ويمسي في الابتلاء . قال الحجاج : فانا اضحك . قال سعيد : كذلك خلقنا الله احراراً . قال الحجاج : هل رأيت شيئاً من اللهو ؟ قال لا اعلمه . فدعا الحجاج بالعود والناي فلما ضرب بالعود ونفخ بالناي بكى سعيد . قال الحجاج: ما يبكيك ؟ قال : يا حجاج ذكرتني امراً عظيما ، والله لا شبعت ولا رويت ، ولا اكتسبت ، ولا زلت حزيناً لما رأيت . قال الحجاج : وما كنت رأيت هذا اللهو ؟ فقال سعيد : بل هذا والله الخرق ، اما هذه النفخة فذكرتني يوم النفخ في الصور ، واما هذا المصران فمن نفس ستحشر معك الى الحساب ، واما هذا العود فنبت بحق ، وقطع لغير حق . قال الحجاج : ويلك . قال سعيد: الويل لمن زحزح عن الجنة فادخل النار . قال الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه . قال : اني اشهدك يا حجاج أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، استحفظكهن يا حجاج حتى

القاك . فلما ادبر ضحك . قال الحجاج : ما يضحكك يا سعيد ؟
قال : عجبت من جرأتك على الله ، وحلم الله عليك. قال الحجاج :
انما اقتل من شق عصا الجماعة ، ومال الى الفرقة التي نهى الله عنها ،
اضربوا عنقه. قال سعيد: حتى اصلي ركعتين. فاستقبل القبلة وهو
يقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً مسلماً
وما انا من المشركين . قال الحجاج : اصرفوه عن القبلة الى قبلة
الذين تفرقوا واختلفوا بغياً بينهم ، فانه من حزبهم .
فصرف عن القبلة فقال : فاينما تولوا فثم وجه الله الكافي بالسرائر.
قال الحجاج : لم نوكل بالسرائر وانما وكلنا بالظواهر . قال سعيد:
اللهم لا تترك له ظلمي واطلبه بدمي واجعلني آخر قتيل يقتل من
امة محمد [1] فضربت عنقه .

---

١ — ذكروا انه لم يفرغ الحجاج من قتل سعيد بن جبير حتى خولط في عقله وجعل يصيح : قيودنا قيودنا . يعني القيود التي كانت في رجل سعيد ابن جبير . راجع الامامة والسياسة لابن قتيبة ج ٢ ص ٥٠

جحدر المحرزي

في سجن البيضاء [1]

جحدر المحرزي ، أحد اللصوص الفتاكين ، ومن شعراء الدولة الأموية [2] ، وله شعر رائع يعبر عن حياته السادرة

---

١ – البيضاء ضد السوداء ، والبيضاء مواضع عديدة منها مدينة مشهورة بفارس ، والبيضاء كورة بالمغرب ، وعقبة في جبل المناقب ، والبيضاء اسم لمدينة حلب ، وبيضاء البصرة وهي المعني بها هنا ، وهو «المخيس» الذي كان محل السجن .

٢ – وقع بأيدينا طائفة كبيرة من مساجين اللصوص الشعراء الذين الهب السجن عواطفهم وأسمى مداركهم ، ولكننا لم نوفق الى معرفة نشأتهم وحياتهم ، وأسباب سجنهم ومن بينهم : « جحدر المحرزي » رغم تتبعنا المتواصل في مختلف المصادر .

ومن أولئك المساجين المنسيين ما رواه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، كما يقول صاحب معجم البلدان قال : كان بعض الاعراب يقطع الطريق فأخذه والي اليمامة فحبسه فحن الى وطنه فقال :

أقول لبوابي والسجن مغلق ... وقد لاح برق ما الذي تريان
فقالا نرى برقا يلوح وما الذي ... يشوقك من برق تراه يمان
فقلت افتحا لي الباب أنظر ساعة ... لعلي أرى البرق الذي تريان

ومخاطراته الجريئة ، في عالم اللصوصية والاحتراب ، وكان قد قبض عليه وزج في المخيّس وهو السجن المعروف ببيضاء البصرة ، وهو القائل في هذا السجن :

أقول للصحب في البيضاء دونكم | محـلة سوّدت بيضاء أقطاري
مأوى الفتوة للأنذال مذ خلقت | عند الكرام محل الذل والعار
كأن ساكنها من قعرها أبداً | لدى الخروج كمنتاش من النار

فقالا أمرنا بالوثاق ومـا لنا | بمعصية السلطان فيك يدان
فلا تحسبا سجن اليمامة دائمـاً | كما لم يدم عيش لنـا بأمان

وفي كتاب « مهد العرب » لعبد الوهاب عزام قال بعض الاعراب وقد حبس « بحجر » :

هل الباب مفروج فأنظرَ نظرة | بعين قلتْ حجراً فطال احتمامها
الا حبـذا الدهنا وطيب ترابها | وارض خلاء يصدح الليل هامها
ونص المهاري بالعشيات والضحى | إلى بقر وحي العيون كلامها

محمد بن القاسم الثقفي

في سجن واسط

هو محمـد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن ابي عقيل الثقفي ، يلتقي نسبه بالحجاج في الحكم بن ابي عقيل ، ولد حوالي سنة ٧٣ هـ ونشأ ونقع الحوادث مثار ، وريح الفتن نكباء ، والسيوف يتجاوب صليلها في فارس والعراق والحجاز وافريقية ، فلقف صناعة الحرب سماعاً وعياناً ، ثم مال الى الشعر فثقفه وبرع فيه ، فرق طبعه واعتدل مزاجه واصبح وهو في السابعة عشرة من عمره اشرف ثقفي في زمانه كما يقول صاحب الاغـاني ، وراح الحجاج يعقد عليـه الامال الكبار ، ويرشحه للامور العظام ، فاغزاه السند بقوة مؤلفة من جيش واسطول ، اما الجيش فكانت عدته زهـاء عشرين الف مقاتل ، واما الاسطول فكان يحمل المشاة والمؤن وعدد الحرب ، ومن هـــذه خمسة مجانيق ضخام يقال لاكبرها «العروس» .

خرج محمد بن القاسم من شيراز عام ٩٠ هـ فسار مشرقاً متبعاً ساحل البحر ،يطوي الحزون ، ويجتاز السهول ،فتغلب على صحارى كرمان ومكران وبلغ في سيره « الديبل » سالماً ، ولم يكد

يحط رحاله حتى كان الاسطول قد وافاه ، فشرع من فوره في مهاجمة المدينة ، ففتحها عنوة وهرب عامل « داهر » ، وداهر هذا كان من اقوى ملوك الهند في ذلك العصر ، ثم سار فالتقى بداهر فقتله بعد حرب هائلة ، وتمزق جيش داهر امام قوته ، ولم يزل يحارب ويفتح حتى وافاه نعي « الحجاج » ثم نعي « الخليفة الوليد ابن عبدالملك » وولاية « سليمان بن عبدالملك » ، ومن ثم قلب الدهر له ظهر المجن ، واخذ نجمه يتضاءل ويأفل ، وكان « سليمان ابن عبدالملك » مضطغناً على الحجاج لانه كان قد زين للوليد خلعه من ولاية العهد ، اما وقد صار « الحجاج » في ذمة الموت ، وفارق هــــذه الدنيا فقد رأى « سليمان » ان يشفي غيظه من اقربائه ، فعزل « محمداً » عن السند ، وولى مكانه يزيد بن ابي كبشة السكسكي ، فاخذ محمداً وسيره الى العراق مع رجل من بني المهلب على حال حركت قلوب اهل السند ، فلم تحدثه نفسه بالخلاف ، وقابل المحنة برحابة صدر ، وجعل يسري عن نفسه ويعللها بما يجيش على لسانه من الشعر المتضمن لآلامه وخواطره فمن ذلك قوله :

ولو كنت أجمعت الفرار لوطئت
أناث أعدت للوغى وذكور
وما دخلت خيل السكاسك أرضنا
ولا كان من عك عليّ أمير
ولا كنت للعبد المزوني تابعاً
فيا لك دهراً بالكرام عثور

ولما صار إلى واسط أخذه صالح بن عبدالرحمن فحبسه فقال في حبسه :

فلئن ثويت بواسط وبأرضها رهن الحديد مكبلا مغلولا

فلرب فتية فارس قد رعتها ولرب قرن قد تركت قتيلا

وعذبه صالح في رجال من أقرباء الحجاج حتى قتلهم [1] .

---

١ — تألم العالم العربي واهتز يوم ذلك لمصير محمد بن القاسم ، ذلك المصير الذي طوحت به الاغراض والانانيات ، وقد ظهر أثر ذلك على ألسن الشعراء فمن ذلك قول حمزة بن أبيض الحنفي :

ان المروءة والسماحة والندى لمحمد بن القاسم بن محمد

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة يا قرب ذلك سؤدداً من مولد

وقال آخر :

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة ولداته عن ذاك في اشغال

اسماعيل بن عمار

في سجن الكوفة

هو اسماعيل بن عمار بن عيينة بن الطفيل بن جذيمة بن عمرو الأسدي ، من «أسد بن خزيمة » ، شاعر مقل من شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، وكان ينزل الكوفة في العهد الأموي ، وكان له جار يقال له عثمان بن درباس ، فكان يؤذيه ويسعى به إلى السلطان في كل حال ، ثم سعى به انه يذهب مذهب الشراة ، فأخذ وحبس ، فكتب من حبسه إلى ابن أخ يقال له « معان » :

ابلغ معاناً عني واخوته   قولا وما عالمٌ كمن جهلا
بأنني والمصبحات مني   يعدون طوراً وتارة مهلا
لخائف أن يكون ودكم   إياي بعد الصفا قد أفلا
أأن عراني دهري بنائبة   أصبح منها الفؤاد مشتعلا
حاولتم الصرم او لعلكمو   ظننتمو ما أصابه جللا
لا تغفلونا بني أخي فلقد   أصبحت لا أبتغي بكم بدلا
تمسكوا بالذي امتسكت به   فان خير الاخوان من وصلا

فكتب اليه معان :

يا عم عوفيت من عذابهم النكر وفارقت سجنهم عجلا

كتبتَ تشكو بني أخيك وقد أرسل من كان قبلنا مثلا
ابدأهمو بالصراخ ينهزموا فأنت يا عم تبتغي العلا
زعمت انا نرى بلاءك في دار بلاء مكبلا جللا
يا عم بئس الفتيان نحن اذن أما وفي رجلك الكبول فلا
بعد عنك الهموم فارج من الله خلاصاً وأحسن الأملا

ثم لما ولي الحكم بن أبي الصلت الكوفة منّ عليه وأطلقه من السجن .

تليد الضبي

في سجن البلقاء [1]

هو تليد الضبي[2] أحد مشاهير اللصوص ومن شعرائهم المطبوعين في الدولة الأموية . وكان قد أخذ في أيام عمر بن عبد العزيز على اللصوصية ، فأودع سجن البلقاء ، ولتليد في هذا السجن شعر جيد يعبر عن اتجاهاته ويعجبني منه قوله في ذلك :

يقولون جاهرنا تليدٌ بتوبةٍ ... وفي النفس مني عودة سأعودها

ألا ليت شعري هل أقودن عصبة ... قليلٌ لربّ العالمين سجودها

وهل أطردنّ الدهر ما عشت هجمة ... معرضة الأفخاذ سجحاً خدودها

قضاعية حُمّ الذرى فترفعت ... «حمى جرش»[3] قد طارعني لبودها

---

١ — البلقاء : بلدة من أعمال دمشق .

٢ — تليد الضبي : من شعراء اللصوص المنسيين الذين اضطربت اخبارهم وحياتهم ، وما اخذه التاريخ عنه لا يلقي ضوءاً في هذا المقام ، وقد رأينا ان نشير الى ذكره ضمن مساجين الادباء حرصاً على الغاية المنشودة من وراء خطتنا في هذا الكتاب .

٣ — جرش : اسم مدينة عظيمة كانت ثم خربت وهي في شرقي السواد من أرض البلقاء وحوران من اعمال دمشق ، وهي في جبل يشتمل على ضياع وقرى واليه ينسب « حمى جرش » ، وهي من فتوح « شرحبيل بن حسنة » في أيام عمر بن الخطاب .

العرجى

في سجن مكة

هو عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، لقبه العرجي من شعراء قريش ، وممن شهر بالغزل منهم . وكان يذهب مذهب عمر ابن أبي ربيعة ويترسم خطوه ، وكان مولعاً باللهو والطرب قليل المحاشاة لأحد حتى أنه شبب « ببجرة » زوجة محمد بن هشام ابن اسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك ، وبأمه «جيداء»[1] ولما ولي محمد بن هشام مكة وكتب اليه هشام أن يحج بالناس

---

١ – في الاغاني ج ١ ص ١٦٣ شبب العرجي ببجرة امرأة محمد بن هشام فقال :

عوجي عليّ فسلمي بجر　　فيم الصدود وانتم سفر
ما نلتقي إلا ثلاث منى　　حتى يفرق بيننا النفر
الحول بعد الحول يتبعه　　ما الدهر إلا الحول والشهر

وشبب بأم محمد بن هشام جيداء فقال :

عوجي علينا ربة الهودج　　انك إن لم تفعلي تحرجي
انى اتيحت لي يمانية　　احدى بني الحارث من مذحج
في الحج إن حجت وماذا منى　　وأهله إن هي لم تحجج

هجاه العرجي . فأخذه محمد ابن هشام وقيده وضربه ضرباً مبرحاً، ثم أقسم ألا يخرج من للسجن ما دام له سلطان، فمكث العرجي في سجنه نحواً من تسع سنين حتى مات ، بعد أن أيقظ هذا السجن في نفسه أعمق المشاعر والآلام ، ومن أوجع ما يؤثر عنه في سجنه من الشعر قوله :

وكم من كاعب حوراء بكر ... ألوف الستر واضحة التراقي
بكت جزعاً وقد سمرت كبول ... وجامعة يشد بها خناقي
على دهماء مشرقة سموق ... ثناها القمح مزلقة التراقي
عليّ عباءة بلقاء ليست ... مع البلوى تغيّب نصف ساقي
كأن على الخدود وهن شعث ... سجال الماء يبعث في السواقي
فقلت تجلداً وخلفت صبراً ... ابالي اليوم ما دفعت مآقي
سينصرني الخليفة بعد ربي ... ويغضب حين يخبر عن مساقي
وتغضب لي بأجمعها قصيّ ... قطين البيت والدمث الرقاق
بمجتمع السيول اذا تنحى ... لئام الناس في الشعب العماقي

وهو القائل من السجن :

اضاعوني واي فتىً اضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر
وخلوني ومعترك المنايا ... وقد شرعوا اسنتهم لنحري
كأني لم اكن فيهم وسيطاً ... ولم تك نسبتي في آل عمر
أجرر في الجوامع كل يوم ... الا لله مظلمتي وهصري
عسى الملك المجيب لمن دعاه ... سينجيني فيعلم كيف شكري
فاجزي بالكرامة اهل ودي ... واجزي بالضغينة اهل ضري

الفرزدق

في سجن البصرة

هو همام بن غالب التيمي كنيته ابو فراس ، ولقبه الفرزدق ، موطنه البصرة ، وبها ولد ونشأ واقام مع أبيه في باديتها فروّاه الشعر حتى نبغ فيه ، ثم أتى به إلى امير المؤمنين « ع » واخبره انه شاعر . فقال: علمه القرآن فهو أنفع له . فلم ينظم شعراً وقيد نفسه بقيد آلى فيه ألاّ يفكه حتى يحفظ القرآن ، فلما فكه حتى حفظه ، وكان ابوه واجداده من رؤساء قبيلتهم ، وجده صعصعة من أعاظم العرب ، لم يسمع بمؤودة في الجاهلية إلا فداها ، حتى جاء الاسلام وقد فدى ٣٠٠ او ٤٠٠ مؤودة، الى غير ذلك من المآثر والخصال .

ويعد الفرزدق من فحول الشعراء في الدولة الأموية ، ومن مشاهيرهم ، وقد انفرد شعره بالفخامة وكثرة الغريب حتى اعجب به الرواة وفضله النحاة. وتظهر خصائص الفرزدق وكفاياته الكبيرة في الشعر في اهاجيه المتعددة ومناقضاته لجرير ، وقد جر على نفسه بسبب اهاجيه متاعب جمة من غضب الولاة . فطارده

زياد بن ابيه ونفاه عمر بن عبد العزيز ، وسجنه خالد بن عبد الله القسري ، وقد سجنه خالد لما سب نهـر المبارك الذي اجراه ، فامــــر مالك بن المنذر بن الجارود بسجنه ، فسجنه في البصرة .
وللفرزدق في هذا السجن قصائد جمة في امتداح بن عبد الله ومالك ابن المنذر، ومن اشهرها قوله من قصيدة في مدح خالد واسترقاقه :

وأني لأرجو خالداً ان يفكني ويطلق عني مثقلات الحدائد
هو القائد الميمون والكاهل الذي يثوب اليه الناس من كل وافد
به تكشف الظلماء من نور وجهه
بضوء شهاب ضوؤه غير خامد
الا تذكرون الرحم او تقرضونني
لكم خلقاً من واسع الحلم ماجد
فان يك قيدي ردّهمي فربما ترامى به رامي الهموم الاباعد
من الحاملات الحمد لما تكشفت ذلاذلها واستأثرت للمناشد
يقول لي الحداد هل أنت قائم وهل انا الا مثل آخر قاعد
كأني حروري له فوق كعبه
ثلاثون قيداً من قروص ملاكد
وراوٍ عليّ الشعر ما انا قلته كمعترض للرمح دون الطرائد

وقوله في مالك بن المنذر من قصيدة :

وكيف بمن خمسون قيداً وحلقةً عليه مع الليل الذي هو أدهم
ابيت اقاسي الليل والقوم منهم معي ساهر لي لا ينام ونوّم
ولو انها صم الجبال تحملت كما حملت رجلاي كادت تحطم
وعلمني مشي المقيد خالد وما كنت ادنى خطوه اتعلم

اقول لرجليّ اللتين عليهما عرى وحديد يحبس الخطو أبهم
اما في بني الجارود من رائع لنا كما راح دُفاع الفرات المثلم

ولما لم يجده ذلك ولم ينفعه من سجنه شيئاً ، كتب الى سعيد ابن الوليد الأبرش بأبيات عرّفه فيها حاله من السجن ، فكلم فيه هشاماً فامر بتخليته .

الكميت بن زيد

في سجن واسط

الاسدي الكوفي، كنيته ابو المستهل، ولد سنة ٦٠ ونشأ بالكوفة، وقال الشعر وهو صغير، ولم يذعه حتى قوي وحصف، وكان الكميت خطيباً مقدماً عالماً بلغات العرب، خبيراً بأيامها ووقائعها، وهو أول من ناظر من الشيعة في الامامة، وتشهد له قصائده الهاشميات في الدفاع عن أهل البيت ومناصرتهم، ولمّا نالهم بالأذى «حكيم الكلبي» شاعر اليمانية هجاه وهجا اليمانية جمعاء، فغضب خالد بن عبدالله القسري، وهو يومئذ أمير العراقين «بواسط»، وكان يمانياً فسعى به إلى هشام، وأسمعه شعره في ذم بني أمية ومدح بني هاشم، فأمره بقتله، والكميت لا يعلم بذلك، ثم بلغه مسير الطرماح إلى خالد وامتداحه إياه واثابة خالد له بثلاثين الف درهم، فأراد المسير اليه وامتداحه فنهاه «معاذ الهراء»، وكان صديقاً له، وقال له لا تفعل فلست كالطرماح، فانه ابن عمه وبينكما بون، أنت مضري وهو يمني متعصب على مضر، وأنت شيعي وهو أموي، وأنت عراقي وهو شامي، فلم يقبل إشارته وأبى إلاّ قصده، فلما وصل الى واسط أمر

خالد بسجنه ، وقال: في ذلك صلاح لأنه يهجو الناس. فبلغ ذلك معاذاً فغمه فقال :

نصحتك والنصيحة ان تعدت هوى المنصوح عزّ لها القبول
فخالفت الذي لك فيه رشد فغالت دون ما أمّلت غول
فعاد خلاف ما تهوى خلافاً له عرض من البلوى طويل

فكتب اليه الكميت من السجن :

أراك كمهدي الماء للبحر، حاملاً إلى الرمل من يبرين متجراً رملا

ثم كتب تحته : قد جرى عليّ القضاء ، فما الحيلة الآن ؟ فأشار عليه أن يحتال في الهرب ، وقال: ان خالد قاتلك لا محالة . فاحتال بامرأته وكانت تأتيه بالطعام وترجع ، فلبس ثيابها وخرج فقال في ذلك :

ولما أحلوني بصلعاء صيلم باحدى ربى ذي اللبدتين أبى الشبل
خرجت خروج القدح قدح بن معقل
على رغم آناف النوابح والمثل
عليّ ثياب الغانيات وتحتها عزيمة مرءٍ أشبهت سلة النصل

ثم خرج متنكراً إلى الشام ، ولاذ بقبر معاوية بن هشام ، فأمنه هشام وعفا عنه .

نصر بن سيار

في الاسار

هو نصر بن سيار بن أبي رافع بن ربيعة الليثي الكناني ، كان رجلًا عاقلًا حازماً شجاعاً مدبراً ، عمرت خراسان مـدة ولايته عمارة لم تعمر مثلها ، وأحسن الولاية والجباية . مكث والياً على خراسان إلى سنة ثلاثين ومائة ، فكانت مدة ولايته عشر سنين ، وكان قبل ولايته من أمراء الاجناد بخراسان من قبـل هشام بن عبد الملك في ولاية أسد ابن عبدالله القسري . وكان أسد شديد التعصب لقومه على المضرية ، حتى أفسد الناس ، وفرق كلمتهم ، وضرب أشرافهم ، وألحق بهم الاهـــانات ، وكان نصر بن سيار وسورة بن الحر وعبد الرحمن بن نعيم من جملة من ضربهم أسد ، وزاد في إهانتهم أن حلق رؤوسهم ، وأوثقهم كتافاً ، وأرسلهم من خراسان على حال سيئة إلى أخيه خالد بن عبد الله القسري ، وهو يومئذ أمير العراقين بواسط ، وكتب اليـــه أنهم أرادوا الوثوب بي . فلما قدموا على خالد لام أسداً وعنفه ، وقـال : ألا بعثت إليّ برؤوسهم ؟ وفي هذه الحالة يقول نصر بن سيار وهو في الوثاق :

بعثت بالعتاب في غير ذنب   في كتاب تلوم أم تميم
ان أكن موثقاً أسيراً لديهم   في هموم و كربة وسهوم [1]
رهن تعس فما وجدت بلاءً   كأسار الكرام عند اللئيم
أبلغ المدعين قسراً وقسراً   هل لعود القناة ذات الوصوم
هل فطمتم عن الخيانة والغدر   أم أنتم كالحاكر المستديم

---

١ – تأثر المضريون لهذه الحادثة وتألم شعراؤهم فمن ذلك قول الفرزدق

أخالد لولا الله لم تعط طاعة   ولولا بنو مروان لم توثقوا نصرا
إذاً للقيتم عند شد وثاقه   بني الحرب لا كشف اللقاء ولا ضجرا

عاصم الهلالي

في سجن خراسان

هو عاصم بن عبدالله بن يزيد الهـــلالي ، من شعـراء الدولة الأموية ، وقد ولي خراسان لهشام بن عبد الملك ، فلما قدم أسد بن عبدالله القسري والياً على خراسان قبض على عاصم وأودعه في السجن ، فقال في ذلك عاصم :

تخـاصمني بجيـلة ثم تقضـي لأنفسها لبئس الحكم ذا كا
إذا ما كان خصمك يا ابن عمرو هو القاضي الذي يقضي علا كا
وحسبك من بلاء أن تولى قضاء في أمورك من دها كا

وقال أيضاً :

أضحت بجيلة من فوقي مسلطة خطب جليل لعمري شأنه العجب
يا ليتني مت لم تظفر بجيلة بي كذلك الدهر بالانسان ينقلب

ثابت قطنة

في سجن خراسان

هو ثابت بن كعب أو عبد الرحمن بن كعب ، مولى بني أسد ابن الحارث ، كنيته أبو العلاء ، أحد الفرسان والخطباء في الدولة الأموية ، صحب يزيد بن المهلب وولاه عملاً من اعمال الثغور ، ولما قتل يزيد رثاه بأبيات شهيرة [1] ، ثم ولي عملا من اعمال خراسان ، فلما صعد المنبر تعذر عليه الكلام . فقال : سيجعل الله بعد عسر يسرا ، وبعد عيٍ بياناً ، وأنتم إلى امير فعال أحوج منكم إلى امير قوّال :

فألا أكن فيكم خطيباً فانني بسيفي اذا جد الوغى لخطيب

واصاب سهم عينه في بعض حروب الترك ، فذهب بها فكان يجعل عليها قطنة فسمي ثابت قطنة .

ولما استعمل هشام بن عبد الملك على خراسان أشرس بن عبد

---

١ – ومما قال في رثاه يزيد بن المهلب :

كل القبائل بايعوك على الذي تدعو اليـه طائعين وساروا

حتى إذا حضر الوغى وجعلتهم نصب الأسنة أسلموك وطاروا

ان يقتلوك فان قتلك لم يكن عاراً عليك ورُبّ قتل عـار

الله السلمي ، بعد ان عزل أسد بن عبد الله القسري ، ولي المجشر ابن مزاحم السلمي على حرب السغد ، وكان المجشر يجد على ثابت قطنة ، فقبض عليه وزجه في السجن ، ولم يزل رهن سجنه الى ان قدم نصر بن سيار واليا على المجشّر ، فألطف بثابت قطنة واحسن اليه ، ثم حمل الى أشرس فأخذه وحبسه عنده .

وهو - كما قدمنا عنه آنفاً - من الفرسان ، وله آثار مشهودة في الحروب والفتوحات ، ولا سيما حروب ما وراء النهر ، فقد جاء شعره متأثراً بأدب الحرب ، طافحاً بذكر الوقائع ووصف القتال ، وعلى هذا الطابع جرى في قصيدته العصماء التي قالها وهو محبوس عند اشرس ، في امتداح نصر بن سيار وتعداد آثاره وخلاله اعترافاً بما اولاه به من رعاية ، وما اختصه به من الطاف ، ومن ذلك قوله :

ماهاج شوقك من نؤي واحجار ... ومن رسوم عفاها صوب امطار
لم يبق منها ولا اعلام عرصتها ... ألا شجيج والا موقد النار
ومائل في ديار الحيّ بعدهم ... مثل الربيئة في اهدامه العاري
ديار ليلى قفار لا أنيس بها ... دون الحجون وأين الحجن من داري
بُدّلت منها وقد شط المزار بها ... وادي المخافة لا يسري بها الساري
بين السماوة في حزم مشرقة ... ومعنق دوننا آذيّه جاري
نقارع الترك ما تنفك نائحة ... منا ومنهم على ذي نجدة شاري
ان كان ظني بنصر صادقاً أبداً ... فيما أدبر من نقضي وامراري
لا يصرف الجند حتى يستفيء بهم ... نهباً عظيماً ويحوي ملك جبار

وتعثر الخيل في الأقياد آونة تحوي النهاب الى طلاب أوتار
حتى يروي دوين السرح بارقه فيها لواء كظل الأجدل الضاري
لا يمنع الثغر إلا ذو محافظةٍ من الخضارم سيّاف بأوتار
إني وإن كنت من جذم التي نضرت
منها الفروع وزندي الثاقب الواري
لذاكر منك أمراً قد سبقت بـه
من كان قبلك يا نصر بن سيّار
ناضلت عني نضـال الحر إذ قصرت
دوني العشيرة واستبطأتُ انصاري
وصار كل صديق كنت آمله إلباً عليّ وورث الحبل من جاري
وما تلبست بالأمر الذي وقعوا به عليّ ولا دنست اطماري
ولا عصيت اماماً كان طاعته حقاً عليّ ولا قارفت من عار

الحكم بن الوليد الأموي

في خضراء دمشق [1]

هو الحكم بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، من شعراء الامويين المجيدين ، بويع له بولاية العهد في أيام ابيه الوليد ، وهو صغير وكان يلقب « بالحمل » ، وقتل في أيام ابراهيم بن الوليد المخلوع . وهو محبوس عنده في خضراء دمشق ، وكان القاتل له يزيد بن خالد بن عبدالله القسري ، وذلك حين بلغ ابراهيم خروج مروان بن محمد من الجزيرة تلقاء الشام لمحاربته ، واستنقاذ الأمر للحكم بن الوليد ، وتخليصه من السجن ، وكان الحكم قد استنجد بمروان ، وهو في سجنه بالخضراء فقال :

ألا يا ليت كلباً لم تلدنا فكنا من ولادة آخرينا

---

١ – الخضراء : من القصور الفخمة التي ذكرها التاريخ بناه معاوية بن ابي سفيان ، وهو واقع جنوب الجامع الاموي ، وسمي بالخضراء لقبة خضراء قامت عليه قيل انه انفق عليها ثمانية عشر حملًا من الذهب ، ويؤثر عن ابي ذر انه انه دخل على معاوية في هذا القصر ، فقال: يا معاوية ان كان ما بنيت من مال الله فهو الخيانة ، وان كان من مالك فهو الاسراف . فضاق صدر معاوية وبعث اليه بثلثمائة درهم ليسكته فأبى أن يقبلها .

ألا فتيان من مضرٍ فيحموا أسارى في الحديد مكبلينا
اتذهب عامر بدمي وملكي فلا غثاً اصبت ولا سمينـــا
أتنكث بيعتي من أجل أمي فقد بايعتمو قبلي هجينـــا
فأدّب لاعدمتك حرب قيس فتخرج منهم الداء الدفينـا
الا من مبلغ مروان عني وعمي الغمر طال بذا حنينا
بأني قد ظلمت وطال حبسي لدى الخضراء في لحف مهينا
فان اهلك أنا وولي عهدي فمروان أمير المؤمنينـــا

مدخل الى العصر العباسي

كانت « موقعة الزاب » الحاسمة بداية عهد ، ونهاية تاريخ ، إذ وقف العباسيون بعد انتصارهم في هذه « الموقعة » على أبواب عصر واع متطلع ، بحكم التطور الذي استيقظ بقيام دولتهم ، إلى حياة أمثل وعالم أرفع وأوسع ، تحت ظل مدينة زاهية تستمد من العلم ، وتستنير بالعرفان . وذلك بفضل ما داخل الدولة العباسية من عناصر غريبة نقلت معها إلى الدولة ما تحسن من أفكارها وثقافاتها ، وكثيراً من عاداتها وتقاليدها ، فكان من ذلك مزيج أممي عمّ جميع مظاهر الدولة ، وشمل مختلف الاوساط فيها . ومن هذا المزيج تكوّنت في الادب العربي ألوان واستجدّت مذاهب ، كانت مصدر ثروة الادب العربي الخالد في هذا العصر .

وما تقرأه لأدباء السجون في هذا العصر خير دليل على نضوج الفكر وتموج الأذهان ، وهناك عوامل أخرى كان لها النصيب الوافر في رسم الألوان العالية والأمثلة الرفيعة التي تقرأها في هذا العصر من أدب السجون . ففي بدء هذا العصر شمل الارهاب السياسي بعض جهات كان لها في هذا الحقل خطوات كبيرة ، فقد لفّت السجون وقت ذاك كثيراً من أعيان العلويين البلغاء وأدبائهم

وبعض وجوه الامراء وذوي الشأن ، فكان مفروضاً أن يجد في هذا الفن بعض التموج ويطرأ عليه التركيز .

ثم كانت الطفرة الاخيرة في حدود هـذا الفن ممن جاء بعد ذلك من أئمة الكتاب والشعراء والوزراء من عباسيين واندلسيين، فكان الابداع في الوصف ، والدقة في التصوير ، والتعبير عن شتى مـا يجول في النفس ، ويختلج في الأعماق من هواجس وآلام ونوازع وأحاسيس بأداء رائع واملاء اخاذ .

ونحن إذ نعرض في هذا القسم من الكتاب ألمع من ضمتهم السجون في جميع أدوار هذا العصر نكتفي بعرض ما أملته عليهم السجون ، وهم بين جدرانها ، من تأملات وافكار دون ما تحليل واسع أو دراسة مستفيضة ، جريا وراء خطتنا في رسم هـــذا الكتاب ، من إجمال البحث بمقدار حاجة المثقفين وطلاب الآداب .

عبدالله الطالبي

في سجن خراسان

هو عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، من فتيان بني هاشم وأجوادهم وظرفائهم وشعرائهم ، وهو صاحب الأبيات الشهيرة التي يقول فيها :

فعين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السُخط تبدي المساويا

وكان من الثائرين على بني أمية ، خرج بالكوفة آخر ايام مروان بن محمد ، ثم انتقل الى نواحي خراسان ، فخاف ابو مسلم انتشار امره فقبض عليه وزجه في السجن ، فمكث فيه مدة غير قليلة ثم قتله . وقد كان للسجن أثره القوي في تفتيق ذهنه ، وصقل مداركه وتركيز أدبه ، فهتف بالشعر الرائع في وصف سجنه وتصوير كبوته ، وافتنّ في ذلك حتى في نثره ، وفي رسالته التي كتبها في استعطاف أبي مسلم من السجن ما يظهر لنا أثر ذلك ، ويكشف لنا عن كثير من أسرار السجون ، وأوضاعها في ذلك العهد المضطرب الثائر . واليك ما جاء في هذه الرسالة :

« من الأسير في يديه ، بلا ذنب اليه ، ولا خلاف عليه . أما بعد : فقد أتاك الله في حفظ الوصية ، ومنحك نصيحة الرعية »

وألهمك عدل القضية ، فإنك مستودع الودائع ، ومولي الصنائع ، فاحفظ ودائعك بحسن صنائعك ، فالودائـع عارية ، والصنائـع مرعية ، وما النعم عليك وعلينا بمنزور نداها ، ولا بمبلوغ مداها ، فنبه للتفكير قلبك ، واتق الله ربـــك ، واعط نفسك من هو تحتك ، ما تحب أن يعطيك من هو فوقك ، من العدل والرأفة ، والأمن من المخافة ، فقد أنعم الله عليك ، بأن فوّض أمرنا اليك ، فاعرف لنا لين شكر المودة ، واغتفار مس الشدة ، والرضـا بما رضيت ، والقناعة بما هويت ، فان علينا من سمك الحديد وثقله أذى شديداً ، مع معالجة الأغـلال ، وقلة رحمـة العمال ، الذين تسهيلهم الغلظة ، وتيسيرهم الفظاظـة ، وإيرادهم علينـا الغموم ، وتوجيههم علينا الهموم ، زيارتهم الحراسة ، وبشارتهـم الأياسة . فإليك بعد الله نرفع كربة الشكوى ، ونشكو شدة البلوى ، فمتى تمل الينا طرفاً ، وتولنا عطفاً ، تجـد عندنا نصحاً صريحـاً ، وودّاً صحيحاً ، لا يضيـع مثلك مثله ، ولا ينفي مثلك أهله ، فارع حرمة من أدركت بحرمته ، واعرف حجة من فلجت بحجته ، فان النـــاس من حوضك رواء ، ونحن منه ظماء ، يمشون في الأبراد ، ونحجل في الأقياد ، بعد الخير والسعة ، والخفض والدعة ، والله المستعان وعليه التكلان . »

ومن شعره الذي يتعلق بنوازعه في السجن قوله [1] :

---

١ — نسب السيد المرتضى في أمـــاليه هذه الابيـــات الى صالح بن عبد القدوس بزيادة بيتين هما :

إلى الله فيما نابنا نرفع الشكوى ... ففي يده دفع المضرة والبلوى

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا

إذا دخل السجان يوماً لحاجة ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

ونفرح بالرؤيا وجل حديثنا ... إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا

فان حسنت كانت بطيئاً مجيئها ... وإن قبحت لم تنتظر وأتت سعيا

ألا أحد يدعو لأهل محلةٍ ... مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا

كأنهم لم يعرفوا غير دارهم ... ولم يعرفوا غير الشدائد والبلوى

طوى دوننا الاخبار سجن ممنع

له حارس تهدى العيون ولا يهدى

قبرنا ولم ندفن ونحن بمعـــزل

عن الناس لا نخشى فنغشى ولا نغشى

ونسب غيره بعض هـــذه الابيات الى الفضل بن يحيى البرمكي وهو في سجنه « بدير القائم » ولكننا نرجح نسبتها الى عبدالله الطالبي كما في رواية الجاحظ في « المحـــاسن والاضداد » لانها توافق ظروفه وتلائم طبعه ، هذا بالاضافة الى ان الرواية التي تشير الى سجن صالح بن عبد القدوس «شاذة» والمشهور خلافها .

جعفر بن علبة الحارثي

في سجن مكة

ينتهي نسبه الى كعب الارث الحارثي ، ويكنى بابنه عارم ، وهو شاعر غزل من مخضرمي الدولتين ، ومن الفرسان والشجعان ، وكان قد سجنه السري بن عبد الله الهاشمي عامل ابي جعفر المنصور في مكة على اشهر الروايات ، وكان السبب في سجنه انه تصادم « بوادي سحبل » مع جماعة من العقيليين وقتل واحداً منهم ، فحلف العقيليون أن القاتل لصاحبهم هو جعفر بنفسه ، فقاده السري بن عبد الله به فقتل صبراً ، وقال قبل أن يقتل يحرض أخاه لفكاكه :

وقل لأبي عون إذا ما لقيته ومن دونه عرض الفلاة يحول
تعلم وعدّ الشك اني يشفّني ثلاثة حرّاس معاً وكبول
إذا رمت مشياً أو تبوأت مضجعاً
يبيت لها فوق الكعاب صليل
ولو بك كانت لابتعثت مطيتي
يعود الحفا اخفافها وتحول

الى العدل حتى يصدر العدل مصدراً

وتبرأ منكم قالة وعذول

ويتناول أرق المشاعر التي تخالجه وهو في السجن فيقول :

هواي مع الركب اليماني مصعد جنيب وجثماني بمكة موثق
عجبت لمسراها وانى تخلصت الي وباب السجن دوني مغلق
المت فحيت ثم قامت فودعت فلما تولت كادت النفس تزهق
فلا تحسبي اني تخشعت بعدكم لشيء ولا اني من الموت افرق
ولا ان نفسي يزدهيها وعيدكم ولا انني بالمشي في القيد اخرق
ولكن عرتني من هواك صبابة كما كنت القى منك إذ أنا مطلق

وقال يندب نفسه في قصيدة :

أحقاً عباد الله ان لست ناظراً صحارى لنجدٍ والرياح الذواريا
ولا زائراً شم العرانين تنتمي الى عامر يحللن رملًا معاليا
اذا ما اتيت الحارثيات فانعني لهن وخبرهن ان لا تلاقيا
وقوّ قلوصي بينهن فانها ستبرد اكباداً وتبكي بواكيا
واوصيكم ان مت يوما بعارم ليغني شيئاً ان يكون مكانيا

السيد الحميري

في سجن الاهواز [1]

هو اسماعيل بن محمد بن يزيـد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ، كنيته ابو القاسم وموطنه « البصرة » ، نشأ في الدولة الامويـة ، وأدرك الدولة العباسية ، وكان يقول بامامة محمد بن الحنفية ، ثم اجتمع بالامام الصادق عليه السلام فعرفه خطأه فتاب واستبصر ، وقال بامامته ، وكان السيد من فحول الشعراء ، وكان اثيراً عند المنصور والمهدي ، واستنفد اكثر شعره في مدح أهـل البيت ، وفي أيام المنصور سجن السيد الحميري ، وله في سجنه أبيات جميلة ، وكان سبب سجنه أن قدم الأهواز « وابو بجير » الأسدي يتولاها من قبل المنصور ، وكان لابي بجير مولى يقال له : يزيد بن مذعور يحفظ شعر السيد وينشده ابا بجير ، وكان ابو بجـير يتشيـع ، فذهب السيد الى قوم من اخوانه بالاهواز ، فنزل بهم ، وشرب عندهم ، فلما أمسى انصرف فأخذه العسس فحبس ، فكتب من غده أبياتاً بعث بها الى يزيد بن مذعور ، فدخل هذا على ابي بجير

---

١ — الاهواز : كورة بين البصرة وفارس ، وهي من فتوح عتبة ابن غزوان على يد حرقوص بن زهير ، بعد تمصير البصرة وولايته عليها .

وقال : قد جنى صاحب عسسك مالا قوام لك به ، قال وما ذاك : فقال هذه الابيات كتبها السيد من الحبس :

قف بالديار وحيها يا مربع   واسأل وكيف يجيب من لا يسمع

ان الديار خلت وليس بجوها   إلا النوابح والحمام الوقع

ولقد تكون بها أوانس كالدمى   جمل وعزة والرباب وبروع

حور نواعم لا ترى في مثلها   امثالهن من الصيانة أربع

فغربن بعد تألف وتجمع   والدهر صاح مشتت ما تجمع

فاسلم فانك قد نزلت بمنزل   عند الأمير تضر فيه وتنفع

تؤتى هواك إذا نطقت بحاجة   فيه وتشفع عنده فتُشفّع

قل للأمير إذا ظفرت بخلوة   منه ولم يك عنده من يسمع

هبْ ليَ الذي أحببته في أحمد   وبنيه إنك حاصد ما تزرع

يختص آل محمد بمحبة   في الصدر قد طويت عليها الأضلع

فبعث اليه ابو بجير من اخرجه من السجن ثم اثابه واعتذر اليه .

عبدالله المحصن

في سجن الهاشمية [1]

هو عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، كنيته أبو محمد ولقبه « المحصن » أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام . كان شيخ أهـل بيته ، وسيـداً من ساداتهم ، ومقدماً فيهم علماً وفضلاً وكرماً ، وكان من خطباء بني هاشم المصادع ، وله في كتب الأدب كثير من المأثورات الرائعة .

وكان المنصور قد حبسه في سجن الهاشمية مـع من حبس من بني الحسن ، لما خرج عليه ابناه محمد وابراهيم ، وفي هذا السجن قبض وعمره خمس وسبعون سنة .

---

١ الهاشمية : مدينة بناها السفاح بالكوفة ، وذلك انه لمـا ولي الخلافة ، نزل بقصر ابن هبيرة ، واستتم بناءه وجعله مـدينة وسماها الهاشمية ، فكان الناس ينسبونها الى ابن هبيرة على العادة ، فقال : ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها . فرفضها ، وبنى حيالها مدينة سماها «الهاشمية» ونزل بها ، ثم اختار الانبار ، فنزل بها وبنى مدينته المعروفة ، فلما توفي دفن بها ،واستخلف المنصور فنزلها ايضاً ، ثم تحول عنها ، فبنى مدينة « بغداد » .

ولما قتل المنصور ابنه محمد بعث برأسه اليه وهو في السجن مع الربيـع حاجبه ، فوضع بين يديه ، فلما رآه قال :

رحمك الله يا أبا القاسم ، فقد كنت من الذين يوفون بعهد الله، ولا ينقضون الميثاق،والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل، ويخشون ربهم ، ويخافون سوء الحساب . ثم تمثل :

فتى كان يحميه عن الذل سيفـه
ويكفيه سوآت الامور اجتنابها

ثم التفت إلى الربيـع فقال له : قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا مدة ، ومن نعيمك مثلها، والموعد الله تعالى.قال الربيـع: فما رأيت المنصور قط اكثر انكساراً منه حين أبلغته الرسالة .

علي بن الحسن المثلث

في سجن الهاشمية

هو علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن ابي طالب عليهم السلام ، يعرف بعلي « الحبر » ، كان متصوفاً عابداً زاهداً له كرامات كثيرة ، قال في « مقاتل الطالبيين » : أنه كان يصلي يوما في طريق مكة ، فدخلت حية في سراويله ، وخرجت من جيبه ، ودهش الناس وصاحوا عليه ، وهو لم يضطرب ولم يلتفت حتى انهى صلاته .

ولما حبس المنصور بني الحسن « ع » لم يكن « علي بن الحسن » فيهم ، فلما كان من الغد بعد الصبح أقبل الى السجن الذي هم فيه عند « رباح » ، وكان ملففاً بساج ، فقال له « رياح » ولم يعرفه : مرحباً بك ما حاجتك ؟ قال : جئتك لتحبسني مع قومي . فحبسه معهم ، ثم نقلهم المنصور إلى « سجن الهاشمية » وكان سجنهم في سرداب مظلم لم يعرف به الليل من النهار ، حتى اشكلت عليهم اوقات الصلاة ، فكانوا يصلون بتلاوة قرآنه ، وكانت دعواته مستجابة . فقال له آل الحسن : ادع الله حتى ينجينا من حبس المنصور . فقال : إن لنا درجات عند الله لا ننالها إلا بالصبر على

هذه البلية أو اعظمها ، وللمنصور دركات في النار ، لا ينالها إلا بما أجراه علينا من هذا الظلم او اعظمه ، فالصبر اجمل ، ويوشك أن نموت فنستريح ، فان ابيتم إلا الخلاص وانحطاط الأجر عنكم فها أنا ادعو الله تعالى لكم . فقالوا: بل نصبر . ووكلوا الأمر الى الله . وبعد ثلاثة ايام ختمت مأساتهم ، إذ هدّم عليهم السجن .

الحسن الطالبي

في سجن مكة

هو الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب عليهم السلام ، أمه وأم أخويه « يزيد » و « صالح » « فاطمة » بنت الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام . كان شاعراً من مخضرمي الدولتين ، خرج مع محمد النفس الزكية في ايام المنصور ، فاستعمله على مكة ، فلما قتل محمد قبض عليه المنصور فضربه بالسياط وحبسه ، فلم يزل في الحبس إلى أن هلك المنصور فأطلقه المهدي ، ومن شعره وهو في السجن قوله في استعطاف المنصور ، وقد بلغه نعي أخيه يزيد :

ارحم صغار بني يزيد انهم ... ايتموا لفقدي لا لفقد يزيد
وارحم كبيراً سنه متهدماً ... في السجن بين سلاسل وقيود
ولأن أخذت بجرمنا وجزيتنا ... لنقتلن به بكل صعيد
او عدت بالرحم القريبة بيننا ... ما جدكم عن جدنا ببعيد

ابراهيم الموصلي

في سجن بغداد

هو ابراهيم بن الميمون بن بهمن أصله من فارس ، كان ابوه ميمون قد هرب من جور بعض عمال بني امية ، فنزل الكوفة في بني عبدالله بن دارم، وأم ابراهيم امرأة من بنات الدهاقين الذين هربوا من فارس لما هرب ميمون ابو ابراهيم ، فنزلوا جميعاً بالكوفة في بني عبدالله بن دارم فتزوجها ميمون،فولدت ابراهيم، فكان مولده بالكوفة سنة « خمس وعشرين ومائة » وتوفي ببغداد سنة « ثمان وثمانين ومائة » وعمره ثلاث وستون سنة .

ولما نشأ ابراهيم وأدرك ، صحب الفتيان ، واشتهى الغناء ، فطلبه ، واشتد اخواله عليه في ذلك وبلغوا منه ، فهرب الى الموصل وصحب جماعة من الصعاليك تعلم منهم انواع الغناء ، ثم رجع الى الكوفة فلقب « بالموصلي » ، ولما اشتهر بالغناء وطارت شهرته في الآفاق اشخصه المهدي الى بغداد وجعله في جملة خواصه، وكان ابراهيم مدمناً للشراب ، فنهاه المهدي عن ذلك فلم ينته ، فغاظه ذلك فضربه ضرباً مبرحا ، ثم أمر به الى السجن، فمكث في السجن مدة طويلة كان لها الاثر البالغ في انماء مداركه ،

وتوجيه مواهبه ، وايقاظ شاعريته ، وحسبنا من شعره قوله في وصف حاله من السجن :

ألا طـال ليليَ ارعى النجوم   اعالج في الساق كبـلًا طويلًا
بدار الهوان وشرّ الديار   اسام بها الخسف صبراً جميلًا
كثير الأخلاّء عند الرخاء   فلمـا حبست أراهم قليلًا
لطول بلائيَ مـل الصديق   فـــلا يأمنن خليل خليلًا

ولما طال امتهانه بالسجن ، وضاق يبلواه ذرعـاً ، كتب إلى بعض أصحابه الخواص ، وهم مصطبحون في مجلس المهدي ، وقد جادت السماء بمطر ضعيف وبين يدي المهدي ورد مبكر :

ألا من مبلغ قوماً   من اخواني وجيراني
هنيئاً لـكم الشرب   على ورد وتهتان
واني مفرد وحدي   بأشجـاني وأحزاني
فمن جف له جفن   فجفناي يسيلان

فلما وقف المهدي على هذه الابيات رق له ، فأمر باخراجه من السجن .

نصيب الأصغر

في سجن اليمن

نصيب مولى « المهدي » عبد نشأ باليمامة ، واشتري للمهدي في حيـاة المنصور ، فلما سمع شعره قال : والله مــا هو بدون « نصيب » مولى بني مروان. فاعتقه ، وزوجه أمَــةً يقال لها « جعفرة » ، وكناه أبا الحجناء ، واقطعه ضيعة بالسواد . ووجهه المهدي إلى اليمن في شراء إبل مهرية ، ووجه معه رجلًا وكتب معه إلى عامل اليمن بعشرين الف دينار ، فمر أبو الحجناء يده في الدنانير ينفقها في الاكل والشرب وشراء الجواري ، فكتب الرجل بخبره إلى المهدي ، فكتب إلى عامله يأمر بحبس نصيب ، فحبس مدة طويلة هناك ، ودخلت عليه وهو في الحبس ابنتــه « حجناء » فلما رأت قيوده بكت فقال :

لقد أصبحت حجناء تبكي لوالد ... بدرةِ عين قل عنه غناؤهــا
أحجناء صبراً كل نفس رهينة ... بموت ومكتوب عليها بلاؤها
أحجناء اسبـاب المنايا بمرصدٍ ... فألاّ يعاجل غدوها فمساؤها
أحجناء ان افلت من السجن تلقني ... حتوف المنايا لا يرد قضاؤها
أحجناء ان أمسى أبوك ودلوه ... تعرت عرى منها ورثّ رشاؤها

لقد كان يدلي في رجال كثيرة   بمتح مليء وهي صغرى دلاؤها
أحجناء أن يصبح أبوك ونفسه   قليل تمنيها قصير عزاؤها
لقد كان في دنيا تفيأ ظلها   عليه ومجلوب اليه بهاؤها

ثم أشخص إلى المهدي مقيداً ، فلما ادخل به عليه أنشده قصيدة عينية رائعة في مدحه واستعطافه ، فأمر باطلاقه وفك قيوده وخلع عليه .

وقد توفي نصيب الأصغر سنة ١٧١ هـ.

يعقوب بن داود

في المطبق [1]

هو ابو عبد الله يعقوب بن داود بن طهمان مولى بني سليم ، كان أبوه قديماً كاتباً لنصر بن سيار عامل بني أمية على خراسان ، خرج اولاده أهل علم وأدب ومعرفة بأيام الناس وسيرهم وأشعارهم ، ولما ظهر محمد وابراهيم كان علي بن داود كاتباً لابراهيم ، وكان يعقوب من الخارجين على ابراهيم ، فلما قتل ابراهيم توارى علي ويعقوب واخوانهما من المنصور ، فطلبهم وظفر بهم ، فأخذ علياً ويعقوب وحبسهما في « المطبق » ايام حياته ، فلما مات المنصور وبويع المهدي مّن عليهما فيمن مّن . ثم ذُكر للمهدي فطلبه ، فلما دخل عليه وفاتحه وجده رجلا كاملاً فولاه وزارته وسماه أخا في الله ووزيراً ، واخرج بذلك توقيعات تثبت في

---

١ – المطبق : سجن في جوف الارض اتخذه المنصور لتعذيب المغضوب عليهم ، وكذا اتخذ المهدي مطبقاً لهذا الغرض وفيه حبس يعقوب بن داود .

الدواوين [1] .

ولكنه سرعان ما زين له هواه فأنفق المال وأكب على اللذات والشراب وسماع الغناء ، ثم كثرت السعايات عليه بسبب ميله لاسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب ، وأنه يريض له الأمور ، وأفهموا المهدي ان اسحاق يروم الخلافة ، وأن يعقوب يساعده ، فملأ ذلك قلب المهدي ، ثم دس اليه جارية من جواريه وهبها له تتسمع ما يبدر منه، ثم سلم اليه علوياً أمره بقتله، فمنّ عليه يعقوب واخرجه خفية واخبر المهدي أنه قتله ، وكانت الجارية قد ارسلت بخبر العلوي اليه ، فأرسل من جاء به من الطريق ، ولما رآه يعقوب أسقط في يده فقال له المهدي: ألم ارفع من ذكرك وأنت خامل ، وأعلي من قدرك وأنت غافل ، وألبسك من نعم الله ما لم أجد لك بحمله يدين من الشكر ، فكيف رأيت الله اظهر عليك، ورد كيدك اليك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ان كان ذلك بعلمك فتصديق معترف ومذنب ، وان كان بما كسبته نمائم الباغين فعائذ بفضلك . فقال : والله لألبسنك من الموت قميصاً لا يخلق الدهر من جديده يا غلام المطبق ..

فولى وهو يقول : المودة رحم ، والوفاء كرم ، وأنت بهما جدير .

---

[1] — وفي ذلك يقول سلم الخاسر :

قل للامام الذي جاءت خلافته تهدى اليه بحق غير مردود
نعم المعين على التقوى اعنت به اخوك في الدين يعقوب بن داود

فأقام في المطبق من أيام المهدي سنتين وشهوراً ، وجميع ايام الهادي ، وخمس سنين وشهرين من أيام الرشيد ، ثم ذكّر يحيى ابن خالد الرشيد بأمره وشفع اليه فيه ، فامر باخراجه فاخرج . وقد ذهب بصره فأحسن اليه الرشيد وردّ اليه ماله واختار المقام بمكة ، فاذن له الرشيد فأقام بها حتى مات في سنة سبع وثمانين ومائة .

ابو العتاهية

في سجن بغداد

اسماعيل بن القاسم بن سويد العيني من قبيلة عنزة ، شاعر مكثر في شعره ابداع ، وهو يُعد من طبقة بشار وأبي نؤاس وامثالهما من مقدمي المولدين . نشأ في الكوفة وسكن بغداد ، وكان في بدء امره يبيع الجرار ، فسمي « الجرّار » ، ثم اتصل بالمهدي وعلت مكانته ، وجاء الهادي ثم الرشيد فحظي عنده وتميز لديه ، ولما بلغ الرشيد قوله :

ألا أن ظبياً للخليفة صادني وما ليَ عن ظبي الخليفة من عذر

غضب عليه فامر بسجنه ، فمكث في سجنه مدة غير قليلة يستعطف الرشيد بشعره الرائع ، ويناشده العفو ، والرشيد لا يلتفت اليه . فمن استعطافاته الجميلة الاخاذة قوله :

انا اليوم لي والحمد لله اشهر يروح عليّ الهم منكم ويبكر
تذكر امين الله حقي وحرمتي وما كنت توليني لعلك تذكر
ليالي تدني منك بالقرب مجلسي ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن ليَ بالعين التي كنت مرةً إليّ بها في سالف الدهر تنظر

ولم يزل الرشيد متوانيا في أمره الى ان كتب اليه من السجن :

أمـا والله ان الظلم لوم وما زال المسيء هو الظلوم
الى ديّان رب الدين نمضي وعنـد الله تجتمع الخصوم
لأمر مـا تصرّمت الليالي وأمر مـا تـُولـّيت النجوم
تموت غداً وأنت قرير عين من الغفلات في لجج تعوم
تنام ولم تنم عنك المنـــايا تنبـه للمنيـــة يا نـؤوم
سل الايام عـن أمم تقضت ستخـــبرك المعـالم والرسوم
تروم الخـلد في دار المنـايا وكم قد راع غيرك مـا تروم
ألا يا أيهـــا الملك المرجى عليـه نواهض الدنيـــا تقوم
اقلني زلـــةً لم أجر منهـا إلى لوم ومـا مثـلي ملوم
وخلصني تخلـص يوم بعث إذا للنـــاس برّزت الجحيم

فلما قرأ الرشيد هذه الابيات رق له فأمر بتخلية سبيله .

وقد توفي ابو العتاهية سنة ٢١١ هـ.

يحيى بن خالد

في دير القائم [1]

هو يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد الشهير . كان واحد الدنيا علماً وأدباً وفضلًا ونبلًا وجوداً، ولد سنة ١٣٠ ﻫ ، فكانت سنه يوم جاءت الدولة العباسية اثنتي عشرة سنة ، فشب في كنف الدولة ، وأحسن ابوه تربيته ، وقد اختاره المنصور لولاية « اذربيجان » ، فسار في ولايته سيرة حسنة ، وهو الذي قام على تربية هارون الرشيد الذي لم يكن يناديه الا بيا أبي، وذلك لأن زوجة يحيى « ام الفضل » ارضعت هارون بلبان ابنها « الفضل » ، وارضعت « الخيزران » أم هارون الفضل بلبان ابنها هارون . ولما تخلف الرشيد قلد يحيى وزارته ، ودفع اليه خاتمه ، وفوض اليه أمر الرعية ، وخوّله السلطة المطلقة ، فكان يقوم بجلائل اعمال الدولة ، ويتصرف في مهام امورها . الى أن نكبه الرشيد بعد اوبته من حجه ، وكتابة عهدي ولديه الامين والمأمون ، فأمر « بجعفر » فقتل وصلبه ببغداد على ثلاثة جسور ،

---

١ — دير القائم: ويسمى «دير القائم الاقصى» على شاطىء الفرات الغربي « في طريق الرقة من بغداد » وانما سمي بالقائم لان عنده مرقباً عالياً .

وأمر بسجن يحيى مع الفضل ومحمد في « دير القائم ». وليحيى في هذا السجن مقطعات مشبوبة ونثر فائق ، وتتميز رسالته التي كتبها الى الرشيد من سجنه بحرارة الاسلوب ، وعمق التأثير ، وتعدّ من أنفس ما فاز به الأدب العربي من تراث أدبي في تلك الفترة . وقد جاء فيها :

«إلى أمير المؤمنين ، وخليفة المهديين ، وإمام المسلمين ، وخليفة رب العالمين ، من عبد أسلمته ذنوبه ، وأوبقته عيوبه ، وخذله شقيقه ، ورفضه صديقه ، ومال به الزمان ، ونزل به الحدثان ، فعالج البؤس بعد الدعة ، وافترش السُخط بعد الرضى ، واكتحل السهاد بعد الهجود ، ساعته شهر ، وليلته دهر ، قد عاين الموت ، وشارف الفوت ، جزعاً لموجدتك يا أمير المؤمنين ، وأسفاً على ما فات من قربك ، لا على شيء من المواهب ، لأن الاهل والمال إنما كانا لك وبك ، كانا في يدي عارية ، والعارية مردودة ، وأما ما أصبت به من ولدي فبذنبه ، ولا أخشى عليك الخطأ في أمره ، جعلني الله فداك ، وليمل هواك بالعفو عن ذنب إن كان فمن مثلي الزلل ، ومن مثلك الاقالة ، وإنما أعتذر إليك باقرار مـــا يجب به الاقرار حتى ترضى ، فإذا رضيت رجوت إن شاء الله أن يتبين لك من أمري ، وبراءة ساحتي ، ما لا يتعاظمك بعده ذنب أن تغفره ، مدّ الله في عمرك ، وجعل يومي قبل يومك :

قل للخليفة ذي الصنيعة والعطايا الفاشيهْ
ملك الملوك وخير مَن ساس الامور الماضيه
وابن الخلائف من قريش والملوك العـاليه

ان البرامكة الذين رموا لديك بداهيه
متفرقين مشتتين بكل أرض قاصيه
صفر الوجوه عليهم خلع المذلّة باديه
فكأنهم مما بهم اعجاز نخل خاويه
عمتهم لك سخطة لم تبق منهم باقيه
بعد الامارة والوزارة والامور الساميه
أضحوا وجل مناهم منك الرضى والعافيه
فاليوم قد سلب الزمان كرامتي وبهائيه
واليوم قد ألقى الزمان جرانه بفنائيه
ورمى سوادا مقلتي فأصاب حين رمانيه
يا من يود لي الردى يكفيك مني ما بيه
يكفيك ما أبصرت من ذلي وذل مكانيه
وبكاء فاطمة الحزينة والمدامع جاريه
ومقالها بتوجع : يا سوأتي وشقائيه
مَن لي وقد غضب الزمان على جميع رجاليه
يكفيك أني مستباح معشري ورجاليه
ورزئت ما لي كله وفدى الخليفة ماليه
إن كان لا يرضيك إلا أن أذوق حماميه
فلقد رأيت الموت من قبل الممات علانيه
وفجعت أعظم فجعة وفنيت قبل فنائيه
وعطبت في سخط الإمام على رفيع بنائيه
فانظر بعينك هل ترى إلا قصوراً عاليه

وذخائراً مقسومة قسمن قبل مماتيه
وحرائراً من بين صارخة عليّ وباكيه
أخليفة الله الرضا لا تشمتن اعدائيه
اذكر مقاساتي الامور وخدمتي وعنائيه
يا عطفة الملك الرضا عودي علينا ثانيه

وتوفي يحيى بن خالد حتف أنفه في السجن بالرقة، بعد انصراف الرشيد من الري بثلاثة أيام في المحرم سنة تسعين ومائة ، وسنه اربع وستون سنة فجأة من غير علة تقدمت ، وصلى عليه ولده . ودفن « بالرافقة » [1] على شاطىء الفرات وبني على قبره بناء عال .

---

١ – الرافقة : مدينة كبيرة على ضفة الفرات بناها المنصور سنة ١٥٥ بناؤها متصل ببناء الرقة ، وهي تعد من اعمال الجزيرة.

الفضل بن يحيى

في دير القائم

هو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي. اكبر اولاد يحيى ولد سنة ١٤٨ هـ قبل ولادة الرشيد بأيام ، وقد ارضعت كل منهما ام الآخر ، ولما شب كان لأبيه يحيى كما كان يحيى لابيه خالد .

ولما ولي ابوه وزارة الرشيد كان الفضل ينوب عنه في جلائل الأعمال ، واستمر محمود السيرة في جميع الأعمال التي اسندت اليه حتى كانت النكبة . وحبس الفضل مع أبيه يحيى ، فكان يتألم كثيراً لما يرى من حال أبيه ، وتجد صور الالم وانطباعاته جلية في قوله من السجن :

ان العزاء على ما ناب صاحبه في راحة من عناء النفس والتعب
والصبر خير معين يستعان بـه على الزمان ومن ذا فيه لم يصب
لو لم تكن هذه الدنيا لها دول بين البريـة بالآفات والعطب
اذن صفت لأناسٍ قبلنـا وبهـم
كانت تليق ذوي الأخطار والحسب
ولم ننلها وفيماقد ذكرت اسى وعبرة لذوي الألباب والأدب
ألستمُ مثل من قد كان قبلكمُ فارضوا وان اسخطتكم نوبة العقب

نضو الحوادث نضو ليس ينفعه شيءسوى الصبر من كدومن تعب
والله ما أسفي إلا لواحدة ألا اكون تقدمت ُ المنون ابي
فكان يؤجر في ثكلي ويتبعني دعاؤه لي دعاء الوالد الحدب

وتوفي الفضل بن يحيى في سجنه من علة نالته يوم السبت لخمس خلون من المحرم سنة ثلاث وتسعين ومائة قبل وفاة الرشيد بخمسة اشهر ، وكانت سنه خمساً واربعين سنة ، فصلى عليه اكثر الناس ، واشتد الجزع من الخاصة والعامـــة عليه ، واغتم عليه جميع من عرفه ، واشتد التضاغط والتزاحم في جنازته ودفن الى جنب ابيه .

عبد الملك بن صالح العباسي

في سجن بغداد

هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، كنيته ابو عبد الرحمن ، ولي المدينة والطائف الرشيد ، ثم ولي الشام والجزيرة للأمين ، وكان أفصح الناس وأخطبهم ، ولم يكن في عصره مثله في فصاحته وصياغته ، وكان الرشيد قد تنكر له فأمر بسجنه عند الفضل بن الربيع ، فكتب الى الرشيد من السجن :

قل لأمير المؤمنين الذي يشكره الصادر والوارد
يا واحد الأملاك في فضله ما لك مثلي في الورى واحد
ان كان لي ذنب ولا ذنب لي حقاً كما قد زعم الحاسد
فلا يضق عفوك عني فقد فاز به المسلم والجاحد

ولما كتب الى الرشيد :

أخلاّي لي شجو وليس لكم شجو
وكل امرىءٍ من شجو صاحبه خلو
من أي نواحي الأرض القى رضاكم
وانتم ملوك ما لمرضاكم نحو

فـــلا حسن نأتي بـه نعت لونه
ولئن اسأنا كان عنـدكم عفو

قال الرشيد إن كان قالها فلقد أحسن ، وان كان قد رواها فقد أحسن .

وهو القائل من السجن :

لئن ساءني سجني لفقـد احبتي وانى اليهم لا أمر ولا احـلي
لقد سرني عزي بترك لقائهم وما اتشكى من حجابي ومن ذلي

وبقي في السجن الى ان تخلف الأمين فأخرجه من السجن وأحسن اليه وكانت وفاته في أيام الامين .

ثمامة بن أشرس

في سجن بغداد

ابو بشر ثامة بن اشرس النميري من جلة المتكلمين المعتزلة . كاتب بليغ بلغ من المأمون منزلة جليلة ، وأراده على الوزارة فامتنع ، وله في ذلك كلام مشهور في خطاب المأمون حتى اعفاه ، وهو الذي اشار عليه ان يستوزر احمد بن ابي خالد بدلاً منه ، وكان قبل المأمون مع الرشيد ، وكان مختصاً بالبرامكة ، فلما نقم عليهم الرشيد ونكبهم امر بسجن ثامة بن اشرس ، فلما طال سجنه كتب الى الرشيد يستعطفه :

عبـد مقر ومولى شتّ نعمته ... بمـا تحدث عنه البدو والحضر
اوقرته نعماً اتبعتها نقماً ... طوارقاً فبه في الناس يشتهر
ولم تزل طاعتي بالغيب حاضرة ... ما شانها ساعةً غشٌ ولا غير
فان عفوت فشيء كنت أعهده ... او انتصرت فمن مولاك تنتصر

فلما قرأ الرشيد هذه الأبيات رق لحاله فأمر بتخلية سبيله .

ابو نؤاس

في سجن بغداد

هو الحسن بن هاني بن عبد الاول بن صباح الحكمي ، شاعر العراق في عصره ، ولد في الاهواز ، ونشأ بالبصرة ، وكان شغوفاً بالعلم وحفظ اشعار العرب وأخبارهم ، فغشي أندية الأدب ومجالس الشعراء ، ثم مرّ به والبة بن الحباب فصحبه ، وكان يحب الاجتماع به ، والتخرج عليه ، وسار معه إلى الكوفة فبغداد ، وهناك صحب الشعراء ودرس على العلماء حتى بلغ المنزلة المرموقة بين الشعراء ، واتصل بالرشيد فقربه وأدناه ، وكان يأنس بقربه ويقدمه إلى أن قال قصيدته المعروفة في هجاء العدنانيين وتفضيل القحطانيين ، فقبض عليه الرشيد وزجه في السجن ، فلما طال عليه السجن كتب إلى الرشيد يستعطفه :

بعفوك لا بل بجودك لذتُ لا بل بفضلك يا أمير المؤمنينا
فلا يتعذرن عليّ عفو وسعت به جميع العالمينا
فإني لم أخنك بظهر غيب ولا حدّثت نفسي أن أخونا
فشفّع حسن وجهك في أسير يدين بحبك الرحمن دينا
إذا ما الهول حلّ بدار قوم فليس لجار مثلك أن يهونا

فأفرج عنه الرشيد ، ثم اتصل بعد وفاته بمحمد الامين ، وانقطع اليه ، ثم تغير عليه فسجنه عند الفضل بن الربيع ، وفي

هذه المرة ظهرت روائعه الخالدة في الوصف والاستعطاف والهجاء، ونكتفي من ذلك بالاشارة إلى إحدى روائعه . قـــال في هجاء الفضل بن الربيـع :

على مركبي مني السلام وبزتي | وغدوات لهوٍ قد فقدن مكاني
فلو أن خدنيّ القريبين أبصرا | خضوعي للسجان ما عرفاني
ولو أبصراني والقيود تقودني | ومشيي إلى البواب بالنجشان
لحى الله من أمسى يوشّح نصره | بفك أسارٍ منه عند يماني
فان أمس ِلاتخشى لسيفي فتكةً | فلا تأمنن يا فضل فتك لساني
وأني لارجو أن تكون كجعفر | ونصفاك فوق الجسر يقتسمان

وأقام في سجنه فترة غير قليلة ثم شفع فيه الفضل بن الربيـع عند الامين فأمر بالافراج عنه ١

---

١ – قال الجهشياري في كتاب الوزراء والكتاب : وكان الفضل قد حبسه مع قوم يتهمون بالزندقة، وكان للفضل بن الربيع خال يستعرض اهل السجون ويتعهدهم ، فدخل الى السجن الذي فيه ابو نؤاس ولم يكن يعرفه ، قال له : يا هذا أأنت زنديق ؟ فقال له ابو نؤاس : معاذ الله . فقال له : فلملك ممن يعبد الكبش . فقال له : انا آكل الكبش بصوفه. فقال: فلملك تعبد الشمس. فقال له : أني لاتجنب القعود فيها بغضاً لها . فقال : فبأي جرم حبست؟ فقال: لاني أنام خلف الناس . فقال له : ليس الامر كذلك . قـــال : والله لقد صدقتك . فجاء الى الفضل فقال له : يا هذا ألا تحسنون جوار نعم الله بحبس الناس بغير جرم ؟ فقال : وما ذاك ؟ فخبره الخبر فضحك منه ، وعرف محمداً الخبر وشفع اليه فيه . فأمر باطلاقه من السجن فقال ابو نؤاس في مدحه :

ما من يد في الناس واحـــدة | كيد ابو العباس مولاهـــا
نام الكرام عــلى مضاجعهم | وسرى الى نفسي فأحياهـــا
قد كنت خفتـــك ثم أمنني | من أن أخافك خوفك الله
فعفوت عني عفو مقتدر | وجبت له نقم فألغاهـــا

ابرهيم بن المهدي

في سجن بغداد

ابراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العباسي الامير ، أخو هارون الرشيد ، ولد ونشأ في بغداد ، وولاه الرشيد امرة دمشق ، ثم عزله عنها بعد سنتين ، ثم اعاده اليها فأقام فيها أربع سنين ، وكان أسود حالك اللون عظيم الجثة . وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لساناً ، ولا أجود شعراً ، وكانت أمه جارية سوداء اسمها « شكلة » ، نسبه اليها خصومه . ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان ابراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الامين والمأمون للدعوة إلى نفسه ، وبايعه كثيرون ببغداد ، فطلبه المأمون فاستتر فأهدر دمه ، فجاءه مستسلماً فسجنه ستة أشهر ببغداد ، وهو القائل في هذا السجن :

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبيتن إلا ناعم البال
ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

ثم طلبه المأمون اليه ، فلما مثل بين يديه قال له المأمون : هيه يا ابراهيم . فقال: يا أمير المؤمنين ولي الثار محكم في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، ومن تناوله الاغترار بما مدّ له من أسباب

الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب ، كما جعل كل ذي ذنب دونك ، فإن تعاقب فبحقك، وإن تعف فبفضلك . قال : بل أعفو يا ابراهيم . فقال ابراهيم :

يا خير من ذملت يمانية به بعد الرسول لآيس أو طامع
وأبر من عبد الإله على التقى عيناً وأقوله بحق صـــادع
عسل الفوارع ما أطعت فان تهـج
فالصـاب يمـزج بالسهام الناقـــع
مستيقظاً حذراً وما يخشى العدا نبهان من وسنات ليل الهاجع
ماتت قلوب الناس منك مخافة وتبيت تكلأهم بقلب خاشع
بـأبي وأمي فديـة وبنيهما من كل معضلة وريب واقع
ما ألين الكنف الذي بوّأتني وطناً وأمرع رتعه للراتع
للصالحات أخاً جعلت وللتقى وأباً رؤوفاً للفقير القانع
نفسي فداؤك إذ تضل معاذري وألوذ منك بفضل حلم واسع

الأفشين

في سجن سامراء

هو حيدر بن كاوس ، وهو تركي من « اشروسنة » ، كان في حاشية المعتصم في حياة المأمون ، وأصله من أبناء ملوك اشروسنة الذين يلقب الواحد منهم بأفشين، احبه المعتصم لما رأى من شجاعته وشهامته ، فاستعان به فيما ولي من الاعمال ، وكان المعتصم والياً على مصر والشام ، فارسله نيابة عنه لازالة الاضطراب « برقة » ، فنجح في ذلك . ولما استخلف المعتصم كان الأفشين في مقدمة قواده ، فعين لحرب «بابك الخرمي» فظهرت على يديه عظائم الاعمال،واحكام سير الجيوش،حتى ظفر بخصمه مع مناعة موقعه. ولما غزا المعتصم « عمورية » كان قائداً لاحدى الفرق الثلاث التي دخلت بلاد الروم ، وهو الذي تولى حرب «تيوفيل» ملك الروم وهزم جنده، وكان ذلك مما جعله يمني نفسه بالملك والاستقلال في بلاد « اشروسنة » ، ثم ظهر أمره ، واشتهر ذلك منه ، فقبض عليه المعتصم وسجنه عند « ايتاخ » التركي ، وما زال عنده يطعم في كل يوم رغيفاً حتى مات ، فاخرجوه وصلبوه على «باب العامة» ثم احرق مع خشبته ورمي به في دجلة . وكان الافشين اديباً

مطبوعـا ذكر البيهقي في « المحاسن والمساوىء » أن الافشين كتب وهو في السجن عند ايتاخ الى المعتصم :

«ان يا امير المؤمنين مَثلي ومَثلك مَثَل رجل ربى عجلا له حتى أسمنه وكبر وحسنت حاله ، وكان له اصحاب اشتهوا ان يأكلوا من لحمه ، فعرضوا له بذبح العجل ، فلم يجبهم الى ذلك ، فاتفقوا جميعاً على أن قالوا له ذات يوم : ويحك ألم تر هذا الأسد وقد كبر والسبع اذا كبر رجع الى جنسه ، فقال لهم : هذا عجل . فقالوا : هذا سبع ، سل من شئت عنه . وقـــد تقدموا الى جميـع من يعرفونه انـه ان سألهم قالوا : هو سبع . فامر بذبح العجل . ولكني انا ذلك العجل كيف أقدر أن اكون أسداً .. الله الله في امري فقد وجب حقي وأنت سيدي ومولاي » .

تميم بن جميل

في سجن سامراء

هو تميم بن جميل السدوسي ، أحد الامراء الشجعان في الدولة العباسية، كان قد خرج في أيام المعتصم بشاطىء الفرات، واجتمع اليه كثير من الاعراب ، فعظم امره ، وبعد ذكره ، فكتب المعتصم الى مالك بن طوق التغلبي في النهوض اليه ، فتبدد جمعه وظفر به، فحمله إلى المعتصم وهو مكبل بالحديد فزج في السجن، ثم قدّم الى المعتصم فلما مثل بين يديه وأحضر السيف والنطع واوقف بينهما ، تأمله المعتصم وكان جميلاً وسيما ، فأحب ان يعلم أين لسانه من منظره ، فقال : تكلم يا جميل . فقال : أما اذا اذنت يا امير المؤمنين فأنا اقول :

« الحمد لله الذي احسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء معين ، جبر الله بك صدع الدين ، ولمّ بك شعث المسلمين ، وأوضح بك سبيل الحق ، وأخمد بك شهاب الباطل ، ان الذنوب تخرس الالسن الفصيحة ، وتغير الافئدة الصحيحة ، ولقد عظمت الجريرة ، وانقطعت الحجة ، وساء الظن ، ولم يبق إلا عفوك او انتقامك ، وارجو ان

يكون اقربهما مني ، واسرعهما إليّ اسبقهما بك وأولاهمـــا » .
ثم قال :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً ... يلاحظني من حيثما اتلفت
واكبر ظني انك اليوم قاتلي ... وأي امرىءٍ مما قضى الله يفلت
وأي امرىءٍ يدلي بعذرٍ وحجةٍ ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعي من ان اموت وانني ... لأعلم ان الموت شيء موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم ... واكبادهم من حسرة تتفتت
فان عشت عاشوا خافضين بغبطةٍ ... وآخر جذلان يسرّ ويشمت

فتبسم المعتصم وقال : يا جميل قد وهبتك للصبية ، وغفرت لك الصبوة . ثم أمر بفك قيوده ، وخلع عليه وعقد له بشاطىء الفرات .

ابراهيم الصولي

في سجن الاهواز

هو ابو اسحاق ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، كاتب العراق ، وأشعر اصحاب المقطعات ، نشأ ببغداد فتلقى العلم والادب على أئمة زمانه ، واشتغل بالشعر في حداثته فبرع ، وتكسب به ورحل الى العمال والامراء يمدحهم ، ويستميح جدواهم ، ثم قصد الفضل بن سهل وزير المأمون أيام مقامه بخراسان ، ومدحه فوهب له عشرة آلاف درهم ، وجعله كاتباً لأحد قواده ، وبقي يتنقل في اعمال النواحي والدواوين حتى كان زمن الواثق عاملاً على الاهواز ، فتحامل عليه وزيره محمد بن عبد الملك الزيات ، فعزله وسجنه ، وكانت بينهما صداقة اكيدة فكتب اليه :

« كتبت اليك وقد بلغت المدية المحزة ، وعدت الايام بك عليّ بعد عدواي بك عليها ، وكان أسوأ ظني واكثر خوفي ان تسكن في وقت حركتها ، وتكف عني اذاها ، فصرت عليّ أضرّ منها ، وكف الصديق عن نصرتي خوفاً منك ، وبادر إليّ العدو تقرباً اليك .

اخ بيني وبين الدهر صاحب اينا غلبا
صديق ما استقام فان نبا دهر عليّ نبا
وثبت على الزمان به فعاد به وقد وثبا
فلو عاد الزمان لنا لعاد به اخاً حدبا

وكتب اليه ايضاً :

وكنت اخي بأخاء الزمان فلما نبا صرت حربا عوانا
وكنت اذم اليك الزمان فأصبحت فيك اذم الزمانا
وكنت اعدك للنائبات فأصبحت أطلب منك الامانا

فلم يلتفت اليه ، ولم يزدد بذلك إلا جفاءً وغلظة ، ثم اطلع الواثق على ذلك فأطلقه .

ابن البعيث

في سجن سامراء

هو محمد بن البعيث بن حلبس بن عتب بن عمرو بن هنب بن افصى ابن دعمى بن جديلة ، منزل جده حلبس في « قرية مرند » وكانت من قرى « آذربيجان » ، ثم حصنها البعيث وبنى بها ، فصارت مدينة مهمة ، ثم بنى بها محمد بن البعيث قصراً ، وكان ذلك في ايام المتوكل العباسي ، فقبض عليـه المتوكل وزجه في السجن عند اسحاق بن ابراهيم ، فتكلم فيه بغا الشرابي وأخذ منه الكفلاء ، واطلق ، فهرب الى « مرنـد » وهي موضعه من « آذربيجان » ، فرمم ما كان وهى من سورها ، وأتاه من أراد الفتنة من كل ناحية من ربيعة وغيرها فصار في نحو ٢٢٠٠ رجل ، وكان الوالي بآذربيجان محمد بن هاشم بن هرثمة ، فقصر في طلبه ، فولى المتوكل حمدويه بن علي بن الفضل السعدي آذربيجان ، ووجهه من سامراء على البريد ، فواقعه مرات عديدة فلم يغن شيئاً ، والمتوكل يرسل اليه بالرجال ، وبعد خطوب طويلة قبض على ابن البعيث وجيء به الى سامراء ، فالقي في السجن ثم قدّم الى المتوكل ، فأمر بطرحه على نطع ، وجاء السيافون حوله ،

فقال المتوكل وغلظ عليه : ما دعاك يا محمد الى ما صنعت ؟ قال: الشقوة وانت الحبل الممدود بين الله وبين خلقه ، وان لي فيك لظنين اسبقهما الى قلبي اولاهما بك،وهو العفو. ثم اندفع بلا فصل فقال :

ابى الناس الا انك اليوم قاتلي   امام الهدى والصفح بالحر أجمل
وهل انا الا جبلة من خطيئة   وعفوك من نور النبوة يجبل
تضاءل ذنبي عند عفوك قلةً   فمن لي بفضل منك والمنّ أفضل
لانك خير السابقين الى العلى   وانك خير الفعلتين ستفعل

فالتفت المتوكل الى علي بن الجهم وقال: إن معه لأدبا ! وعفا عنه .

ابن الزيات

في سجن سامراء

هو محمد بن عبد الملك الزيات الشاعر الكاتب الشهير ، كان نادرة عصره كتابة وشعراً ، استوزره المعتصم مدة خلافته والواثق الى ان مات ، ولما استخلف المتوكل قبض عليه وصادر جميع أمواله ، وكان ابن الزيات قاسياً اتخذ للمصادرين والمغضوب عليهم تنوراً من حديد رؤوس مساميره الى داخل قائمة مثل رؤوس المسال ، في ايام وزارته للمعتصم والواثق ، فكان يعذّب الناس فيه ، فأمر المتوكل بادخاله في ذلك التنور وتعذيبه فيه . حدّث المتوكل في تعذيبه ، قال : كنت اخرج وأقفل عليه الباب ، فيمد يديه الى السماء جميعاً حتى يدق موضع كتفيه ، ثم يدخل التنور فيجلس ، وفي التنور مسامير حديد ، وفي وسطه خشبة معترضة ، يجلس المعذّب عليها اذا أراد ان يستريح . قال المعذِّب : فخاتلته يوما وأريته اني قد اقفلت عليه الباب ، ثم مكثت قليلًا، ودفعت الباب فاذا هو قاعد ، فقلت : أراك تفعل هذا. فكنت اذا خرجت اشد خناقه ، فما فمكث بعد ذلك إلا اياما حتى مات ، وفي هذا التنور الذي عذّب فيه يقول :

هيض عظمي الغداة إذ صرت فيه   إن عظمي قد كان غير مهيض
ولقد كنت انطق الشعر دهراً   ثم حال الجريض دون القريض

وقال وهو يعذّب في التنور :

تمكنت من نفسي فازمعت قتلها
وانت رخي البال والنفس تذهب
كعصفورة في كف طفل يسومها
ورود حياض الموت والطفل يلعب
فلا الطفل يدري ما يسوم بكفه
وفي كفه عصفورة تتضرب

ووجد على حائط البيت الذي كان فيه من قبل التنور :

لعب البلى بمعالمي ورسومي   ودفنت حياً تحت ردم غموم
وشكوت همي حين ضقت ومن شكا
كرباً يضيق به فغير ملوم
لزم البلى جسمي فأوهن قوتي   ان البلى لموكل بلزومي
أبنيتي قلي بكاءك واصبري   فاذا سمعت بهالك مغموم
فانعي اباك الى نسائك واقعدي   في مأتم يبكي العيون وقومي
قولي له يا غائباً لا يرتجى   حتى القيامة مؤذنا بقدوم
يا عين كنت وما اكلفك البكا   حتى ابتليت فان صبرت فرومي

الحسن بن وهب

في سجن سامراء

الحسن بن وهب بن سعيد بن عمر بن حصين كاتب من الشعراء، كان معاصراً لأبي تمام وله معه أخبار ، وكان وجيهاً من المقدمين في أيام الواثق ، ولما استخلف المتوكل نكبه ، ونكب معه أخاه سليمان بن وهب وزجهما في السجن ، فلما طال اعتقالهما وضاقا بالسجن ذرعاً كتب الحسن بن وهب إلى المتوكل :

أقول والليل ممدود سرادقه وقد مضى الثلث أو قد انتصفا
يا رب ألهم أمير المؤمنين رضى عن خادمين له قد شارفا التلفا
لان يكونا أساءا في الذي سلفا فلن يسيئا باذن الله مؤتنفا

فلما وقف المتوكل على هذه الابيات أعجبته فأفرج عنهما ، وقد توفي الحسن عام ٢٥٠ هـ.

علي بن الجهم

في سجن سامراء

من بني ناجية، اتصل بالمتوكل، فخص به حتى صار من جلسائه وندمائه، وكان ناصبياً مولعاً في هجاء علي بن أبي طالب عليه السلام والعلويين وتنقصهم والاغراء بهم، وكان ذلك مما يوافق هوى المتوكل، لما هو معروف عنه من العداء لعلي عليه السلام. ثم لم تطل صحبته للمتوكل، وسرعان ما أبغضه لكذبه الكثير المعروف بـه، وسعاياته الدنيئة بندماء المتوكل والطعن عليهم، فحبسه، ثم أبلغوه أنه هجاه فنفاه إلى خراسان، وبقي بها زمناً، ثم أطلقه وعفا عنه، فرجع إلى العراق ثم خرج إلى الشام فهلك في وجهه. وكان من الشعراء المطبوعين وله في السجن شعر رائق دال على فكرة ثاقبة، وشاعرية خصبة، وهو القائل في وصف السجن وتصوير منزلته فيه من قصيدة:

قالوا حبست فقلت ليس بضائري	حبسي وأي مهند لا يغمد
أو ما رأيت الليث يألف غيله	كبراً وأوباش السباع تردد
والشمس لولا انها محجوبـة	عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والبدر يدركه السرار فتنجلي	أيامـه وكأنه متجـدد

والغيث يحصره الغمام فلا يرى ... إلا وريّقه يراع يرعد
والزاغبية لا يقيم كعوبها ... إلا الثقاف وجذوة تتوقد
والنار في أحجارها مخبوءة ... لا تصطلى ما لم تثرها الازند
غير الليالي بادئات عُوّد ... والمال عارية يعار وينفد
لا يؤيسنك من تفرج كربة ... خطب رماك به الزمان الأنكد
فلكل حال معقب ولربما ... اجلى لك المكروه عما يحمد
كم من عليل قد تخطاه الردى ... فنجا ومات طبيبه والعوّد
والحبس ان لم تغشه لدنية ... في الدهر نعم المنزل المتودد
بيت يجدد للكريم كرامة ... ويزور فيه ولا يزار ويحمد

وقال يخاطب اخاه من السجن :

توكلنا على رب السماء ... وسلمنا لأسباب القضاء
ووطنا على غير الليالي ... نفوساً سامحت بعد الاباء
وافنية الملوك محجبات ... وباب الله مبذول الفناء
هي الايام تكلمنا وتأسو ... وتأتي بالسعادة والشقاء
حلبنا الدهر اشطره ومرت ... بنا عقب الشدائد والرخاء
وجربنا وجرب أولونا ... فلا شيء أعز من الوفاء
ولم ندع الحياء لمس ضر ... وبعض الصبر يذهب بالحياء
ولم نحزن على دنيا تولت ... ولم نسبق الى حسن العزاء
توقَ الناس يا ابن أبي وأمي ... فهم تبع المخافة والرجاء
ولم يغررك من وغد اخاء ... لأمر ما غدا حسن الاخاء
ألم تر مظهرين عليّ عتباً ... وهم بالأمس اخوان الصفاء
وخافوا أن يقال لهم خذلتم ... صديقاً فادعوا قدم الجفاء

تضافرت الروافض والنصارى   واهـل الاعتزال على هجائي
انا المتوكلي هوى ورأيـاً   وهـل بالواثقية من خفـاء
وما حبس الخليفة لي بعـار   وليس بمؤيسي منـه التنائي

وقال لما قيد :

اقول لهـا والدمع شتى طريقه
ونار الجوى في القلب يذكو وقودها
فلا تجزعي اما رأيت قيوده   فان خلاخيل الرجال قيودها

وقد توفي ابن الجهم عام ٢٤٩ هـ .

ابراهيم بن المدبر

في سجن سامراء

ابو اسحاق ابراهيم بن المدبر شاعر كاتب متقدم ، من وجوه كتاب أهل العراق ومبرزيهم وذوي الجاه ، والمتصرفين في كبار الاعمال ومذكور الولايات ، وكان المتوكل يقدمه ويؤثره ويفضله ، وكان بينه وبين « عريب »[1] حال مشهورة ، كان يهواها وتهواه ، ولهما في ذلك أخبار كثيرة . وكان احمد بن المدبر ولي لعبد الله بن يحيى بن خاقان عملاً ، فلم يحمد أثره فيه ، وعمل على أن ينكبه ، وبلغ ذلك أحمد فهرب . وكان عبد الله منحرفاً عن أخيه ابراهيم شديد النفاسة عليه برأي المتوكل فيه ، فاغراه وعرفه خبر أخيه وادعى عليه أموالا حتى أذن له في سجنه فسجنه في سامراء ، وأطال أمد اعتقاله ، فكان ذلك من اقوى العوامل الفعالة في تموج أدبه ، وسمو أفكاره ، فجاءت قصائده في السجن نماذج عالية للشعر الرائع المشرق بالتأملات ، ويعجبني منها قوله في وصف السجن وتصوير مكانته فيه من رائعة :

هو الحبس ما فيه عليّ غضاضة وهل كان في حبس الخليفة من عار

---

١ — عريب : جارية مغنية مشهورة .

ألست ترين الخمر يظهر حسنها وبهجتها في الحبس في الطين والقار
وما انا الا كالجواد يصونه مقوّمه للسبق في طي مضمار
او الدرة الزهراء في قعر لجة فـلا تجتلى إلا بهول وأخطار
وهل هو الا منزل مثل منزلي وبيت ودار مثل بيتي أو داري
فلا تنكري طول المدى وأذى العدا
فان نهايات الامور لأقصار
لعل وراء الغيب أمراً يسرنا يقدره في علمه الخالق الباري
وإني لأرجو أن أصول بجعفر فاهضم اعدائي وادرك بالثار

وقوله :

أدموعها أم لؤلؤ متناثرٌ يندى بـه ورد جني ناضرٌ
لا يؤيسنك من كريم نبوة فالسيف ينبو وهو عضب باتر
هـذا الزمان تسومني أيامه خسفاً وهـأنذا عليـه صابر
ان طال ليلي في الإسار فطالما أفنيت دهراً ليـله متقاصر
والحبس يحجبني وفي اكنافه مني على الضراء ليث خادر
عجب له كيف التقت أبوابه والجود فيـه والغمام الماطر
هلا تقطع أو تصدع أو وهى فعذرتـه لكنه بي فاخر

ولما طـال سجنه وأعيته جميـع الوجوه في خلاصه ، استغاث بمحمد بن عبد الله بن طاهر ومدحه بقصيدة رائعة ، فكلم المتوكل فيه وجوّد المسألة في أمره ، وبذل أن يحتمل في ماله كل ما يطالب به ، فاعفاه المتوكل من ذلك ووهبه له ، وأقام آخر ايامه بمنبج ومات فيها عام ٢٧٠ هـ.

محمد بن صالح العلوي

في سجن سامراء

هو محمد بن صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن ابن علي بن أبي طالب عليه السلام ، يكنى أبا عبدالله ، شاعر حجازي ظريف من شعراء أهل بيته المتقدمين، وكان جده موسى ابن عبدالله أخا محمد وابراهيم الثائرين زمن المنصور . وكان محمد ابن صالح قد خرج على المتوكل فظفر به وبجماعة من أهل بيته «أبو الساج» ، فأخذهم وقيدهم ، وقتل بعضهم وخرب «سويقة» ، وعقر بها نخلًا كثيراً ، وحرق منازل لهم بها ، وأثر فيها آثاراً قبيحة، وحمل محمد بن صالح فيمن حمل منهم إلى سامراء ، فحبس بها ثلاث سنين ، ثم شفع له الفتح بن خاقان عند المتوكل فأطلقه بشرط الا يبرح سامراء ، ولمحمد بن صالح وهو في سجنه شعر جميل يسيل عذوبة ويكفي في ذلك قوله :

طرب الفؤاد وعاودت احزانه وتشعبت شعبـاً به اشجانه

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برق تألق موهناً لمعانـه

يبدو كحاشية الرداء ودونه صعب الذرى متمنعاً اركانه

فدنا لينظر كيف لاح فلم يطق نظراً اليـه ورده سجانـه

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه   والماء ما سحت به أجفانه
ثم استعاذ من القبيح ورده   نحو العزاء عن الصبا ايقانه
وبدا له ان الذي قد ناله   ما كان قدّره له ديانه
حتى اطمأن ضميره وكأنما   هتك العلائق عامل وسنانه
يا قلب لا يذهب بحلمك باخل   بالنَيل باذل تافه منانه
يعد القضاء وليس ينجز موعداً   ويكون قبل قضائه ليانه
خدل الشوى حسن القوام مخصر   عذب لثاه طيب اردانه
واقنع بما قسم الآله فأمره   ما لا يزال على الفتى اتيانه
والبؤس ماض ما يدوم كما مضى   عصر النعيم وزال عنك أوانه

علي الحماني

في سجن بغداد

هو علي بن محمد بن جعفر العلوي الحمّاني. كان ينزل بالكوفة في حمّان فنسب اليها ، وكان من الشعراء الطالبيين المبرزين وأكابرهم ، وكان مفتيهم ومدرسهم بالكوفة ، ولم يكن أحد من آل علي بن أبي طالب عليه السلام يتقدمه ، وانتهى إلى أبي أحمد الموفق بالله انه يريد الظهور عليه ، فأخذه وزجه في السجن ببغداد فكتب اليه من السجن :

قد كان جدك عبدالله خير أب
لابنيّ عليٍ حسين الخير والحسنِ
فالكف يوهن منها كل أنملة
ما كان من اختها الاخرى من الوهن

فلما وصل هذا الشعر اليه كفل وخلي إلى الكوفة وكانت وفاته في خلافة المعتمد سنة ٢٠٦ هـ .

عاصم بن محمد الكاتب

في سجن الاهواز

عاصم بن محمد بن الحسن الكاتب ، من أهل ناحية أبي البغل ، كان شاعراً كاتباً حسن الشعر والبلاغة ، وكان من خواص أحمد ابن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي الأمير المشهور ، ثم تنكر له فاعتقله . ولم أعرف له في هذا الاعتقال غير قصيدة رائعة يقول منها :

من قال إن الحبس بيت كرامة	فمكابر في قوله متجلد
ما الحبس إلا بيت كل مهانة	ومذلة ومكاره لا تنفد
ان زارني فيه العدو فشامت	يبدي التوجع تارة ويفند
او زارني فيه المحب فموجع	يذري الدموع بزفرة تتوقد
يكفيك ان الحبس بيت لا يُرى	أحد عليه من الخلائق يحسد
تمضي الليالي لا اذوق لرقدة	طعماً وكيف يذوق من لا يرقد
في مطبق فيه النهار مَشاكل	لليل والظلمات فيه سرمد
فالى متى هذا الشقاء مؤكد	والى متى هذا البلاء مجدد
مالي مجير غير سيديَ الذي	ما زال يكفلني فنعم السيد
غذيت حشاشة مهجتي بنوافل	من سيبه وصنائع لا تجحد

عشرين حولا عشت تحت جناحه
عيش الملوك وحالتي تتزيد
فخلا العدو بموضعي من قلبه
فحشاه جمراً ناره تتوقد
فاغفر لعبدك ذنبه متطولا
فالحقد منك سجية لا تحمد
واذكر خصائص خدمتي ومقاومي
ايام كنت جميع امري تحمد

ابن المعتز

في سجن بغداد

هو عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، كنيته ابو العباس ، نشأ نبيل النفس قوي الشعور شغوفا بالأدب والعلم والموسيقى منهمكاً باللهو والطرب ، وتخرج على شيوخ الأدب مثل المبرد وتعلب ، وله مشاركة طيبة في العلوم العقلية والنقلية ، وقد شغله الأدب والانهاك باللهو عن الخلافة ومعالي الامور ، إلا أن جماعة من شيعته وانصاره لما رأوا ضعف المقتدر وسوء ادارته خلعوه ، وبايعوا ابن المعتز وسموه « المرتضي بالله » ثم لم تطل مدته اكثر من يوم وليلة ، وذلك ان اصحاب المقتدر تحزّبوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتتوهم ، واعادوا المقتدر الى دسته فاختفى ابن المعتز في دار ابي عبدالله الحسين بن عبدالله الجوهري ، فتقحموا عليه الدار فاعتقلوه ، ثم اخذوه الى المقتدر فأخذه وسلمه الى مؤنس الخادم فسجنه مدة ثم خنقه ، ونقل الى اهله ملفوفاً في كساء ، وعلى قـُصر المدة التي اعتقل فيها فقد جاء عنـه من السجن شعر رائع يدل على عبقريته الفـذة ومواهبه الكبيرة ، وهو صاحب الأبيات الشهيرة في السجن :

تعلمت في السجن نسج التكك وكنت امرءاً قبل حبسي ملك
وقيدت بعد ركوب الجياد وما ذاك إلا بدور الفلك
ألم تبصر الطير في جوها تكاد تلاصق ذات الحبك
اذا ابصرته خطوب الزمان اوقعنه في حبال الشرك
فهذاك من حالق قد يصاد ومن قعر بحر يصاد السمك

ومن مراسلاته الشعرية ما كتب الى استاذه ابي العباس احمد ابن يحيى بن ثعلب يتشوق إليه :

ما وجد صاد بالحبال موثق بماء مزن بارد مصفق
بالريح لم يكدر ولم يرقق جادت به اخلاف دجن مطبق
بصخرة ان تر شمساً تبرق ماد عليها كالزجاج الازرق
صريح غيث خالص لم يمذق إلا بوجدي بك لكن اتقي
يا فاتحاً لكل باب مغلق وصيرفياً ناقداً للمنطق
ان قال هذا بهرج لم ينفق انا على البعاد والتفرق
لنلتقي بالذكر ان لم نلتق

ووجد في البيت الذي قتل فيه مكتوب بخطه على الأرض :

يا نفس صبراً لعل الخير عقباك خانتك بعدطوال الامن دنياك
مرت بنا سحراً طير فقلت لها طوباك يا ليتني اياك طوباك

وقد توفي عام ٢٩٦ هـ.

ابن الماشطة

في سجن بغداد

علي بن الحسن يكنى ابا الحسن ، ولقبه الذي ظلم فيه « ابن الماشطة » كما يقول : « صاحب معجم الادباء » ، كان في ايام المقتدر العباسي ، وهو احد الكتاب المتصرفين بالاعمال ، العالمين بأمور الكتبة والخراج ، وكان قد عزل عن عمل كان اليه فسجن ، ومما قال في سجنه :

قالوا حبست فقلت الحبس لا عجب
حبس الكرامة لا حبس الجنايات
حبس العمالة بعد العزل عادتنا
ريث التتبع أو رفع الجماعات

ابن مقلة

في دار الخلافة

ابو علي بن محمد بن علي بن مقلة صاحب الخط المشهور الذي يضرب بحسنه الامثال ، وهو اول من استخرج هذا الخط ونقله من الوضع الكوفي الى هذا الوضع ، وتبعه بعـــد ذلك « ابن البواب » .

كان في ابتداء أمره يخدم في بعض الدواوين في كل شهر بستة دنانير ، ثم تعلق بابي الحسن بن الفرات واختص به ، فرفـع من قدره ، ومكث بين يديه يعرض عليه رقاعا في حاجات الناس ، وينتفع بسبب ذلك ، وما زال على هذا الديدن حتى علت حاله وكثر ماله ثم كفر باحسان ابن الفرات ، ودخل في جملة اعدائه حين نكب ، وصار من أعدائه ، ولما رجع ابن الفرات الى الوزارة قبض عليه وصادره على مائة ألف دينار أدتها عنه زوجته ، وكانت ذات مال طائل .

قال احمد بن اسماعيل كاتب ابن الفرات : لما نكب ابن مقلة وحبس لم ادخل عليه ولا كاتبته ولا توجعت له على ما بيني وبينه من المودة والصداقة خوفاً من ابن الفرات ، فلمـا طالت به المحنة

كتب إليّ :

ترى حرّمت كتب الاخلاء بينهم | أبن لي، أم القرطاس اصبح غاليا
فما كان لو سألتنا كيف حالنا | وقد داهمتنا نكبة هي ماهيا
صديقك من واساك في كل شدة | وكلّا تراه في الرخاء مواليا
فهبك عدوي لا صديقي فانني | رأيت الاعادي يرحمون الاعاديا

ثم خرج من السجن ، وكان المقتدر قد استوزره وخلع عليه، وقام باعباء الوزارة امراً ونهيا ، ثم عزل وقبض عليه، ثم اعيد. وما زال تتقلب به الاحوال حتى استوزره الراضي ، ثم جرت خطوب أوجبت للراضي حبسه فحبسه « بدار الخليفة » ، وضيق عليه ، وسعى به اعداؤه الى الراضي وخوفوه من غائلته فقطع يده اليمنى ، فمكث في الحبس مدة مقطوع اليد ، وكان ينوح على يده ويقول : « يد كتبت بها كذا وكذا مصحفاً ، وكذا وكذا حديثا من أحاديث الرسول « ص » ، ووقعت الى شرق الارض وغربها، تقطع كما تقطع يد اللصوص» وظل يكتب باليسار كما كان يكتب باليمين ، ثم شد على يده المقطوعة قلماً ، وكتب بها فلم يفرق بين خطه قبل قطعها وبعده ، ومن شعره الذي يشير الى قطع يده وهو سجين قوله :

ما مللت الحياة لكن توثقت | بايمانهم فبانت يميني
بعت ديني لهم بدنياي حتى | حرموني دنياهمو بعد ديني
ثم احسنت ما استطعت بجهدي | حفظ ارواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيش | يا حياتي بانت يميني فبيني

ومن قوله في تلك الحوادث :

إذا ما مات بعضك فابك بعضا فان البعض من بعض قريب

ومن غريب الاتفاقات ، أنـه تولى الوزارة ثلاث دفعات ، وسافر ثلاث دفعات ، ودفن ثلاث دفعات : دفن بدار الخلافـة لما قتل وذلك بعد قطع يديه ، ثم سأل اهله تسليمه اليهم ، فنبش وسلم اليهم فدفنوه ، ثم طلبته زوجته فنبشته ودفنته بدارها .

الصابي

في سجن بغداد

ابو اسحاق ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون الحراني ، نابغة كتاب جيله ، كان اسلافه يعرفون بصناعة الطب ، ومال هو إلى الأدب ، وكان الوزير المهلبي يحبه كثيراً ، ويصطنعه لنفسه ، فقلده ديوان الرسائل والخلافة مع ديوان الوزارة ، فلما توفي المهلبي اعتقل أبو اسحاق في جملة عمال المهلبي ،ومن شعره الرائق في هذا الاعتقال :

يا أيها الرؤساء دعوة خادم	اوفت رسائله على التعديد
أيجوز في حكم المروءة عندكم	حبسي وطول تهددي ووعيدي
قلدت ديوان الرسائل فانظروا	أعدلت في لفظي عن التسديد
أعليّ رفع حسام ما انشأته	فأقيم فيه أدلتي وشهودي
أنسيتم كتباً شحنت فصولها	بفصول در عندكم منضود
ورسائلًا نفذت إلى أطرافكم	عبدالحميد بهن غير حميد
يهتز سامعهن من طرب كما	هز النديم سماع ضرب العود
أنا بين اخوان لنا قد أوثقوا	بسلاسل وجوامع وقيود
وموكلين لنا نذل لعزكم	فكأننا لهم عبيد عبيد

والله ما سمع الانام ولا رأوا   بقراً توكل قبلهم بأسود
من كل حرٍ ماجد صنديد   في كل وغد عاجز رعديد
قصرت خطاه خلاخل من قيده   فتراه فيها كالفتاة الرود
يمشي الهوينا ذلةً لا عزة   مشي النزيف الخائف المرؤود
فتفضلوا وتعطفوا وهبوا لنا   عفواً قديم حفائظ وحقود
وتعلموا ان الولاية عندكم   عارية ليست بذات خلود

ثم خلي عنه وأعيد الى عمله ، وقلده عزّ الدولة بختيار الديلمي ديوان رسائله سنة ٣٤٩ ه ، فكانت تصدر عنه مكاتبات الى عضد الدولة ابن عم بختيار ، بما يؤلمه ، فحقد عليه . ولما قتل عزّ الدولة وملك عضد الدولة بغداد قبض على الصابي سنة ٣٦٧ ه وسجنه ، وامر بأخذ امواله فكانت له في هذا السجن قصائد جميلة ومقطعات رائعة منها قوله من قصيدة مهرجانية بعث بها الى عضد الدولة مع درهم خسرواني وجزء كتاب :

ولما رأيت الله يهديَ خلقه   تجاسرت فاستفرغت جهد جهيد
فكان احتفالي في الهدية درهماً   يطير مع الانفاس يوم ركود
وجزءاً لطيفاً ذرعه ذرع محبسي   وتقييده بالشكل مثل قيودي
الاطف مولانا وكالماء طبعه   تسلسل من عذب النطاف برود
زلالاً على المستعطفين وجلمداً   على كل عرّيض الد مريد

وكان بين ابي اسحاق الصابي وبين ابي الفرج الببغاء الشاعر مودة ، وكان كل منهما يتمنى لقاء صاحبه ، ويكاتبه ويراسله ، فاتفق ان ابا الفرج قدم مرّة الى بغداد في ايام اعتقال ابي اسحاق فلم يصبر عنه فزاره في محبسه ، ثم انصرف عنه ولم يعاوده فكتب

اليه ابو اسحاق :

ابا الفرج اسلم وابق وانعم ولا تزال
يزيدك صرف الدهر حظاً اذا نقص
مضى زمن تستام وصلي غالياً فارخصته والبيع غال ومرتخص
وآنستني في محبسي بزيـــارة
شفت كمداً من صاحب لك قـد خلص
ولكنها كانت كحسوة طائـــر
فواقاً كما يستفرص السارق الفرص
واحسبك استوحشت من ضيق محبسي
واوجست خوفاً من تذكرك القفص
كذا الكرّز اللماح ينجو بنفسه اذ عاين الاشراك تنصب للقنص
فحوشيت يا قس الطيور فصاحة اذا انشد المنظوم او درس القصص
من المنسر الأعلى ومن حزة المـدى
ومن بندق الرامي ومن قصة المقص
فهذي دواهي الطـــير وقّيت شرها
اذا الدهر من احداثها جرع الغصص

فأجابه ابو الفرج بأبيات منها :

ايا ماجداً مذ يم المجد ما نكص وبدر تمام مذ تكامل ما نقص
ستخلص من هذا الاسار وأيّما هلال توارى في السرار وما خلص
برأفة تاج الملة الملك الذي لسؤدده في خطة المشتري حصص
فان كنت بالببغاء قدماً ملقباً فكم لقب بالجور لا العدل مخترص
وبعد فما اخشى تقنص جارح وقلبك لي وكرٌ ورأيك لي قفص

وبلغ ما دار بينهما الى عضد الدولة، فاعجب بالابتداء والانتهاء واستطرفهما، فكان ذلك من أقوى اسباب اطلاق ابي اسحاق من السجن .

وقد توفي سنة ٣٨٤ هـ .

أبو الفتح

في سجن الري [1]

هو علي بن محمد بن العميد الكاتب الشهير، كنيته أبو الفتح، كان أديباً له آثار طيبة معروفة ، وهو ممن نال الوزارة في عصر آل بويه ، وذلك لما توفي ركن الدولة ، وقام مقامه مؤيد الدولة خليفة لأخيه عضد الدولة ، أقبل من اصبهان إلى « الري »، فخلع على أبي الفتح علي بن محمد بن العميد خلعة الوزارة ، وألقى اليه مقاليد المملكة ، وما زال كذلك حتى جرت حوادث أوجبت تغير مؤيد الدولة عليه ، وانضاف ذلك الى تغير عضد الدولة له ، واحتقاده عليه لأشياء كثيرة في أيام أبيه « ابن العميد» وبعدها ، واجتمعت آراء الاخوين على اعتقاله وأخذ أمواله ، فاعتقل في بعض القلاع ثم بدرت منه كلمات نقلت إلى عضد الدولة فزادت في استيحاشه منه ، وأنهض من حضرته من طالبه بالأموال وعذّبه

١ — الري : مدينة مشهورة من امهات البلاد ، واعلام المدن ، كثيرة الفواكه والخيرات ، كانت محط الحاج في السابق على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال ، وهي من فتوح « عروة بن زيد الخيل الطائي » ، في سنة ٢٠ وقيل ١٩ في ايام عمر بن الخطاب .

ومثّل به ، وفي هذه الاحوال يقول :

بدّل من صورتي المنظر لكنه ما بُـــدّل المخبر
ولست ذا حزن على فائت لكن على من لي يستعبر
وواله القلب لما مسني مستخبر عني ولا يخبر
فقل لمن سرّ بما ساءنا لا بد أن يُسلك ذا المعبر

وما زال يُعرض على العذاب حتى تلف وآخر قوله في ذلك :

ملك مد لي عرا الميثـــاق بأمان قد سار في الآفاق
لم يمل رأيه ولكن دهري حال عن رأيه فشد وثاقي
فقرى الوحش من عظامي ولحمي وسقى الأرض من دمي المهراق

تاج الدولة البويهي

في سجن الاهواز

آدب آل بويه وأشعرهم واكرمهم ، وكان يلي الأهواز فأدركته حرفة الأدب ، وتصرفت به أحوال أدت الى النكبة والحبس من جهة أخيه أبي الفوارس ، وهو القائل في هذا الحبس :

هب الدهر ارضاني واعتب صرفه
واعتب بالحسنى من الحبس والاسر
فمن لي بأيام الشباب التي مضت
ومن لي بما انفقت في الحبس من عمري

ومن قوله :

حتى متى نكبات الدهر تقصدني
لا استريح من الاحزان والفكر
اذا اقول مضى ما كنت احذره
من الزمان ، رماني الدهر بالغير
فحسبي الله في كل الامور فقد
بدلت بعد صفاء العيش بالكدر

ابو العباس الصفدي

في سجن حلب

من شعراء حلب المبرزين في ايام سيف الدولة ، وكان قد سجن بحلب لمحاكمة كانت بينه وبين رجل من حلب ، فكتب في أمره من السجن الى ابن نصر البازيار نديم سيف الدولة يقول :

كذا الدهر بؤس مرة ونعيم فلا ذا ولا هذا يكاد يدوم
وذو الصبر محمود على كل حالة وكل جزوع في الانام ملوم
أترضى ظلوماً وهو قاض بحبسه اذا اختصمت يوماً اليه خصوم
وان زماناً فيه يحبس مثله لمثلي ، زمان ما علمت لئيم
يكاد فؤادي ان يطير صبابة اذا هبّ من نحو الأمير نسيم
هل انت ابن نصر ناصري من ظلامة
لها في دجى الخطب البهيم نجوم
ولائم قاض رد توقيع من به غدا قاضياً فالأمر فيه عظيم

فلما قرأ ابن نصر هذه الابيات شفع له عند سيف الدولة وعرّفه خبره فأمر بالافراج عنه .

ابو الطيب المتنبي
في سجن حمص

هو احمد بن الحسين الجعفي ، ولد بالكوفة من ابوين فقيرين ، كان ابوه سقاء بالكوفة ، ثم سافر به وهو صغير الى الشام متنقلا من البادية الى الحاضرة ، يسلمه الى المكاتب ويردده في القبائل ، حتى توفي ابوه . وقد ترعرع المتنبي ونال حظه من علوم اللغة والأدب ، فأخذ يطوف في الأقطار ابتغاءً للرزق واكتساباً للمجد ، وكان منذ نشأته كبير النفس ، عالي الهمة ، طموحاً الى المجد ، مفطوراً على حب الظهور ، وقد بلغ من كبر نفسه وعلو همته ان دعا لبيعته بالخلافة ، واستغوى ناساً من الاعراب في بادية الشام ، فتبعه منهم خلق كثير فخرج اليه « لؤلؤ » « أمير حمص » نائب الاخشيدية ، فأسره وتفرق اصحابه وحبسه طويلا ثم استتابه فأطلقه ، وكان كتب اليه من السجن :

أيا خدد الله ورد الخدود ... وقدّ قدود الحسان القدود

فهن أسلن دماً مقلتي ... وعذبن قلبي بطول الصدود

وكم للهوى من فتى مدنف ... وكم للنوى من قتيل شهيد

فوا حسرتا ما امرّ الفراق ... واعلق نيرانه بالكبود

واغرى الصبابة بالعاشقين واقتلها للمحب العميد
وألهج نفسي لغير الخنا بحب ذوات اللمى والنهود
فكانت وكن فداء الأمير ولا زال من نعمة في مزيد
لقد حال بالسيف دون الوعيد وحالت عطاياه دون الوعود
فانجم امواله في النحوس وأنجم سؤاله في السعود
ولو لم اخف غير اعدائه عليه لبشرته بالخلود
رمى حلباً بنواصي الخيول وسمرٍ يرقن دماً في الصعيد
وبيض مسافرةٍ ما يقمن لا في الرقاب ولا في الغمود
يقدن الفناء غداة اللقاء الى كل جيش كثير العديد
فولى باشياعه الخرشني كشاء أحس بزأر الاسود
يرون من الذعر صوت الرياح صهيل الجياد وخفق البنود
فمن كالأمير ابن بنت الأمير أو من كآبائه والجدود
سعوا للمعالي وهم صبية وسادوا وجادوا وهم في المهود
أمالكَ رقي ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجاء والموت مني كحبل الوريد
دعوتك لما براني البلاء وأوهن جسمَي ثقل الحديد
وقد كان مشيهما في النعال فقد صار مشيهما في القيود
وكنت من الناس في محفل فها انا في محفل من قرود
تعجل فيّ وجوب الحدود وحدي قبيل وجوب السجود
وقيل عدوت على العالمين بين ولادي وبين العقود

فمالك تقبل زور الكلام وقدر الشهادة قدر الشهود

فلا تقبلن من الكاشحين
ولا تعبأن بمحك اليهود

وكن فارقاً بين دعوى اردت
ودعوت فعلت بشأوٍ بعيد

وفي جود كفيك ما جدت لي
بنفسي ولو كنت أشقى ثمود ؟

أبو فراس الحمداني

في سجن القسطنطينية

الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان ، ولد « بمنبج »، ونشأ شجاعاً فارساً أبيّ النفس سليم الطبع كريم الخلق ، وهو ابن عم سيف الدولة ، وكان سيف الدولة يعجب بمحاسنه ويميزه بالاكرام على سائر قومه ويستصحبه في حروبه ومغازيه، وخانه الفوز مرة في بعض حروبه مع الروم فوقع أسيراً بأيدي الروم، وهو جريح قد أصابه سهم بقي نصله في فخذه فسجنوه « بخرشنة » ثم نقلوه إلى « القسطنطينية » وتوانى سيف الدولة في أمر مفاداته ، فلبث في السجن أربع سنين ، نظم خلالها رومياته الروائع التي كان للسجن الأثر القوي في بعثها، وتمثيل ما فيها من عواطف ، ولنتأمل في قوله من رومية بعث بها إلى سيف الدولة ، وقد بلغه أن أمه قصدته تكلمه في المفاداة فلم يكن عنده ما رجت من حسن الايجاب :

يا حسرة ما أكاد احملها آخرها مزعج وأولها

عليلة بالشآم مفردة بات بأيدي العدا معللها

تمسك أحشاءها على حرق تطفئها والهموم تشعلها
تسأل عنا الركبان جاهدة بأدمع ما تكاد تمهلها
يا من رأى بحصن خرشنة اسد شرى في القيود أرجلها
يا من رأى لي القيود مثقلة على حبيب الفؤاد أثقلها
يا أيها الركبان هل لكما في حمل نجوى يخف محملها
قولا لها إن وعت كلامكما وان ذكري لها ليذهلها
يا أمتا هذه منازلنا نتركها تارة وننزلها
يا أمتا هذه مواردنا نعلها تارة وننهلها
اسلمنا قومنا إلى نوب أيسرها في القلوب أقتلها

ومن رومياته الشهيرة التي تمثل نفسيته العظيمة في الحوادث قوله وقد سمع بالقرب من سجنه حمامة تنوح على شجرة عالية :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة أيا جارتا هل تشعرين بحالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى
ولا خطرت منك الهموم ببال
أيحمل محزون الفؤاد قوادم
على غصن نائي المسافة عالي
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا
تعالي أقاسمك الهموم تعالي
تعالي تري روحاً لدي ضعيفة
تردد في جسم يعذب بالي
أيضحك مأسور وتبكي طليقة
ويسكت محزون ويندب سالي

لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة
ولكن دمعي في الحوادث غالي

ولما خفف عنه ورفه ونوظر في أمر الهدنة والأسرى وأجيب إلى ملتمسه بعد أن أكرم وبجل قال :

ولله عندي في الأسار وغيره مواهب لم يخصص بها أحد قبلي
حللت عقوداً أعجز الناس حلها وما زلت لا عقدي يذم ولا حلي
وأوسع أياماً حللت كرامة كأني من أهلي نقلت إلى أهلي
فأبلغ بني عمي وأبلغ بني أبي بأني في نعماء يشكرها مثلي
وما شاء ربي غير نشر محاسني
وأن يعرفوا ما قد عرفتم من الفضل

محمد بن مسعود الغساني

في مطبق الزهراء

هو محمد بن مسعود الغساني البجالي ، كنيته ابو عبدالله ، كان أحد شعراء الاندلس المبرزين ، وكان قد وفد على المنصور ابن ابي عامر فاتهم برهق في دينه ، فقبض عليه المنصور وزجه في «المطبق» بالزهراء مع « الطليق القرشي » ، والطليق غلام وسيم ، وكان ابن مسعود به كلفاً يومئذ ، وفيه يقول من السجن :

غدوت في السجن خدناً لابن يعقوب
وكنت أحسب هذا في التكاذيب

رامت عداتي تعذيبي وما شعرت — أن الذي فعلوه ضد تعذيبي
راموا بعادي عن الدنيا وزخرفها — فكان ذلك ادنائي وتقريبي
لم يعلموا ان سجني لا ابا لهم — قد كان غاية مأمولي ومرغوبي

وكتب الى المنصور من السجن :

دعوت لما عيل صبري وهل — يسمع دعواي المليك الحليم
مولاي مولاي ألا عطفة — تذهب عني بالعذاب الأليم
ان كنت اضمرت الذي زخرفوا — عني فدعني للقدير الرحيم
فعنده لظى نزّاعة للشوى — وعنده الفردوس ذات النعيم

وأقام محمد في هذا المطبق مدة طويلة ثم افرج عنه .

جعفر المصحفي

في مطبق الزهراء

جعفر بن محمد الحاجب المعروف بالمصحفي ، وزير أديب من أهل الاندلس ، استوزره المستنصر الاموي الى ان مات وولي المنصور ، وكان حاقـداً على المصحفي فقبض عليه ، وزجه في المطبق بالزهراء وضيق عليه ، فاستعطفه بمنظومة ومنثورة فلم يرق له ، وصادره في ماله حتى لم يترك له ولا لأبنائه ما يسدون به أرماقهم ، ثم قتله وبعث بجسده الى اهله .

ومما كتب به الى المنصور وهو في المطبق :

هبني اسأت فأين العفو والكرم
اذ قادني نحوك الاذعان والكرم

يا خير من مدت الأيدي اليه أما
ترثي لشيخ نعاه عندك القلم

بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر
إن الملوك اذا ما استُرحموا رحموا

ومن قوله ايضاً وهو في المطبق :

اجازي الزمان على حاله   مجازاة نفسي لانفاسها

اذا نفس صاعد شفها	توارت به دون جلاسها
وان عكفت نكبة للزمان	عطفت بنفسي على راسها

وقوله لما يئس من عفو المنصور :

لي مدة لا بد ابلغها	فاذا انقضت أيامها متُّ
لو قابلتني الأسد ضارية	والموت لم يقرب لما خفت
فانظر إليّ وكن على حذر	في مثل حالك أمس قد كنت

فهرس

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة



مفخرة العراق
مكتبة النهضة
ببغداد
للطباعة والتوزيع والنشر
لصاحبها: عبد الرحمن حسن حياوي
اول مؤسسة ثقافية عراقية تعنى بنشر الآثار والمؤلفات العربية.
وضعت نصب عينيها منذ تأسيسها النهوض بالكتاب العراقي من حيث الإتقان في الاخراج والطباعة وجعله بمصاف ارقى المطبوعات.
تعتمدها جميع دور النشر والمكتبات اللبنانية في توزيع وترويج منشوراتها.
تحوي جميع منشورات البلاد العربية.
زرها مرة لتصبح صديقها إلى الأبد.
بغداد - شارع المتنبي - تلفون: ٨٢٦٨٩

العراق الثائر

بقلم : محمد باقر شري

مفارقات العهد القاسمي – ذكريات دامية محفورة في قلوب العراقيين – أضواء نافذة على شخصية قاسم ومعاونيه – علاقات قاسم بالشيوعيين وعملاء الانكليز – أسرار ثورة ١٤ رمضان – الجوانب الخفية من معارك الثورة – أبطال الثورة يصفون المعركة دقيقة فدقيقة – الوضع الكردي على حقيقته – موقف كربلاء والنجف – حزب البعث قبل الحكم وبعده – ميشال عفلق ووحدة القوى الثورية – ركائز الوحدة الثلاثية

مع حديث مسهب بمثابة مقدمة

للرئيس عبد السلام عـــارف

دار الكاتب العربي

للتأليف والترجمة والنشر

بيروت - بناية عمر الخيام - ص.ب ٣١٥٧

هاتف ٢٩١١١٨ - ٢٤٠٥٠٦ - ٢٤٠٥٠٧

صدر في منشوراتها :

	ق. ل
آراء غربية في مسائل شرقية ، لعمر فاخوري	٢٠٠
المختار من أدب الرافعي	٢٠٠
فن الأدب ، ليوسف عبد المسيح ثروة	١٥٠
حرب فلسطين لم تنته ، لمنير أبو فاضل	٥٠
تجربة عربي في الحزب الشيوعي ، لقدري قلعجي	٢٠٠
لومومبا ، لقدري قلعجي	٢٢٥
أنا عائد من اليمن ، لأحمد السقاف	٢٥٠
ثورة الحرية ، رواية تاريخية لهملتون باسو	٣٠٠
قميص من نار ، رواية تاريخية لخالدة أديب	٣٠٠
أضواء على تاريخ الكويت ، لقدري قلعجي	٥٠٠
الكويت في موكب الحضارة ، لقدري قلعجي	٥٠٠
بغداد والثوار ، شعر ، لفوزي عطوي	٢٠٠
المعتمد بن عباد (حياته وشعره) لنديم مرعشلي	٢٠٠
حفنة من تراب الوطن (قصة حياة شوبان) لقدري قلعجي	٢٠٠
لينين (حياته وآراؤه) لقدري قلعجي	٢٠٠
كان لي قلب ، شعر ، لراضي صدوق	٢٠٠